



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم علم النفس والأرطوفونيا و الفلسفة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص : فلسفة عامة

الموسومة بـ :

البيروايتيكا وسؤال الأخلاق

إشراف الأستاذة :

د/ تفاحي فتيحة

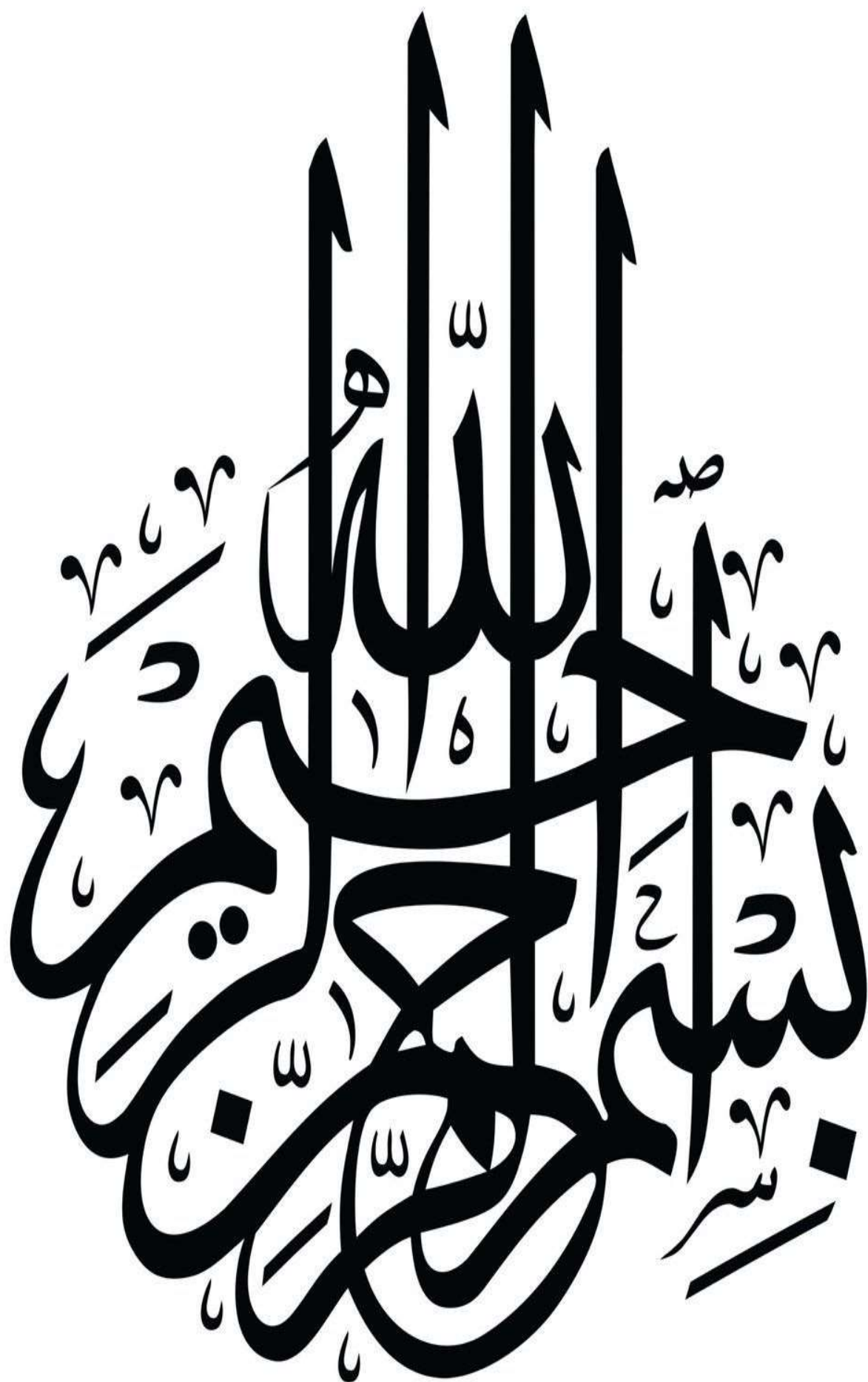
إعداد الطالبة:

سعيداني زينب

لجنة المناقشة	
رئيسا	خديم فاطمة
مشرفة	بن ناصر الحاجة
مناقشا	تفاحي فتيحة

الموسم الجامعي

2025/2024



كلمة شكر

الشكر لله أولاً ، وأنه من الوفاء أن يرد الفضل لأصحابه ،
فأجزل الشكر و أوفره.

إلى الأستاذة

على قبولها الإشراف على هذه المذكرة رغم انشغالاتها
الكثيرة ، وعلى ماقدمته لنا من توجيهات قيمة سواء من
ناحية المنهجية أو المضمون العلمي،
ولأعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على تفضلهم بمناقشة
المذكرة.

كما أقدم الشكر و التقدير لكل من قدم لنا يد المساعدة
أثناء إنجاز هذا العمل.

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وآله من
وفي ما بعد:

إلى روح من كنت أتمنى وجودهما ودوام دعائهما ونصحهما

أبي وأمي

أسكنهما الله فسيح جنانه وجزاها الله خير الجزاء

وإلى

من لا تحلو الحياة إلا بوجوده وحلموا معي بأحلامي وأمانتي

إخوتي الأعزاء

إلى

من شاركني الحلم والأمل زوجي الغالي

وإلى من تعجز الكلمات أمام قدرهما عندي أساتذتي أينما كانوا.

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: ما البيواتيقا ؟

المبحث الأول: مبحث مفاهيمي

المبحث الثاني: نشأة البيواتيقا كمبحث أخلاقي جديد (تاريخية المفهوم)

المبحث الثالث: مجالات البيواتيقا (أخلاقيات العيادة ، أخلاقيات البحث العلمي ، السياسة الصحية)

الفصل الثاني: أهم تطبيقات البيوطبية

المبحث الأول: الاستنساخ الحيوي و سؤال الهوية

المبحث الثاني: الموت الرحيم

المبحث الثالث : تحسين النسل

الفصل الثالث: الأبعاد المختلفة للممارسات البيوطبية

المبحث الأول: نحو تأطير أخلاقي للإشكاليات بيوطبية

المبحث الثاني : البعد الديني للممارسات البيوطبية

المبحث الثالث : من البيواتيقا إلى البيوقانون

الخاتمة

الملاحق

ثبت المصطلحات

أعلام البحث

البيبليوغرافيا

فهرس المحتويات

مقدمة

مقدمة

يعتبر موضوع الأخلاق من بين أهم الموضوعات التي تم التطرق إليها في الحضارات القديمة ، وينطوي موضوع الأخلاق بحسب التصنيفات الكلاسيكية تحت مبحث الأكسيولوجيا (القيم) ، الذي يشمل موضوعات الحق والخير والجمال ، وما يهمننا في هذا الموضوع الخير الذي يتم تناوله من خلال فلسفة الأخلاق التي تسعى لوضع قواعد و معايير السلوك الإنساني بدءا من الفلسفة اليونانية التي كانت فلسفة الأخلاق مطبوعة بطابع السعادة ، أي أن أخلاق اليونان إنما هي أخلاق سعادة ، أما في العصر الحديث فنحن نجد إختلافا في تعريف الأخلاق وخاصة بداية من كانط التي طبعت بطابع الواجب فعلى الرغم من أننا نجد قاعدة السلوك عند كانط بوصفه فيلسوفا حديثا يقول " إفعل هذا لأنه واجبك " فقد كانت قاعدة السلوك عند اليونان " إفعل هذا لأنه يؤدي إلى سعادتك " بينما نجد في العصر الفكر المعاصر نفسه على الرغم من إختلاف مذاهبه ومدارسه إهتماما بالغا بالأخلاق كضرورة فرضها عليهم واقعهم من خلال هذا التقدم الهائل في شتى المجالات بالخصوص في المجال العلمي والتكنولوجي (التصنيفات البيوتكنولوجية) ، من قبيل الإستتساخ ، وزرع الأعضاء وتحسين النسل..الخ.

ونتيجة لهذه التطبيقات بدأت المشكلة الأخلاقية تتفاقم، فبرزت على الساحة الطبية الكثير من الإشكاليات الأخلاقية والخلافات الحادة حيث، أباحت القوانين العلمانية الحديثة منها ، و التي تتعارض مع المبادئ الأخلاقية التي أقرتها الأديان السماوية باعتبارها تخالف الطبيعة التي فطر الله تعالى الخلق عليها ، وفي سبيل الخروج من هذا المأزق ظهرت البيويثيقا كحل معرفي جديد تعبر عن لقاء بين العلم والأخلاق .

فالبيويثيقا اليوم تشير إلى فضاء متميز للنقاش الأخلاقي ، يضم بين طياته شرائح متعددة من أطباء وعلماء البيولوجيا و رجال الدين، وفلاسفة ، ورجال قانون وسياسة، و إقتصاد وعلماء نفس و إجتماع بشأن الموضوعات المتعلقة بالبحوث الطبية التي تصطدم كثيرا بفكرة القيم.

إن مجال البيويثيقا يستعمل لحل الإشكاليات التي تحمل بين طياتها قيمة بين القيم في مجال البيوتكنولوجي وقوانين حفظ الكرامة الإنسانية ، فتحاول البحث عن حل لإشكالية متعلقة بمسألة القيم حينما تكون في خطر، نتيجة لبعض التطبيقات البيوتكنولوجية ومن هنا نطرح الإشكال الرئيسي كيف يمكن التوفيق بين حرية البحث العلمي في مجال الطب وضرورة احترام القيم الأخلاقية في زمن يشهد تصاعد ممارسات طبية تهدد كرامة الإنسان في حقه في الحياة السليمة ؟



أو بصيغة أخرى إلى أي حد يمكن للتقدم العلمي في مجال التطبيقات البيوتكنولوجية أن يظل منسجما مع المبادئ الأخلاقية التي تحمي كرامة الإنسان في ظل تنامي ممارسات طبية تثير جدلا كالاستنساخ وتحسين النسل ، وهل يمكن للبيوتقيا أن تضع حدودا واضحة تمنع انزلاق الطب نحو ممارسات لا إنسانية ؟

وهذه الإشكالية تتفرع إلى عدة تساؤلات من قبيل :

أولاً: ما هي البيوتقيا ؟ وما هي الجذور التاريخية لنشأتها ؟ وما هي مجالاتها ؟

ثانياً: ما هي أهم الموضوعات التطبيقية التي تناولتها في مجال الطب ؟

ثالثاً: ما هي التداعيات الأخلاقية التي أثارها هذه الموضوعات ؟ وما موقف الدين منها ؟ وكيف نظر القانون لها ؟

وإختياري لهذا الموضوع منها ما هو ذاتي يعود إلى ميلي الشخصي لهذا المجال من البحوث عن غيره من البحوث الأخرى ، وكذلك الفضول في إقتحام مثل هذه المواضيع الجديدة غير المستهلكة والتي يجهلها العديد ، ومنها ما هو موضوعي يكمن في أهمية الموضوع الذي يحظى به في المجال التقدم العلمي بإعتبار أن البيوتقيا تتناول الدراسة الحدود القيمية أو الأخلاقية الناتجة عن التطورات البيوطبية وما يثيره من مخاطر تهدد الكرامة الإنسانية وتمس بهويته .

ولدراسة الموضوع إعتمدت على ثلاث مناهج ، منهج تحليلي ومنهج نقدي ومنهج تفكيكي ، ففي المنهج التحليلي حاولت تحليل الأفكار و المضامين التي يحتويها هذا العمل من خلال توضيح هذه التطورات البيوطبية و إنعكاسها على البشرية. كما تمت الإستعانة بالمنهج النقدي من خلال تقديم قراءة نقدية لتأثيرات ومخاطر هذه التطبيقات على البشرية فحاولت قدر الإمكان إبراز المواقف الأخلاقية والدينية والقانونية لتبيان المباح والمحرم لمثل هذه الموضوعات " الإستنساخ ، الموت الرحيم تحسين النسل " ، كما اعتمدت على منهج تفكيكي ليس من باب الرفض أو الهدم و إنما كأداة تحليلية تهدف إلى تفكيك الأوضاع الناجمة عن استخدام التطبيقات البيوطبية معاصرة ، لإعادة بناء فهم جديد للبيوتقيا ، بوصفها مبحثا فلسفيا و أخلاقيا يضع في صلب اهتمامه الإنسان لا كمشروع لتحكم فيه ، بل ككائن يتطلب رعايته أخلاقيا وصون كرامته و هويته .

واعتمدت في بحثي هذا على خطة إشتملت مقدمة ، و ثلاثة فصول ، وكل فصل تضمن ثلاثة مباحث متبوعة بخاتمة للبحث بالإضافة إلى تثبيت المصطلحات وفهرس أعلام البحث.

ففي مقدمة البحث حاولت الإحاطة بموضوع " البيوتقيا " حيث تطرقت إلى الحديث عن الأخلاق كونها الركن الأساسي في توجيه السلوك الإنساني ولكن مع التقدم الهائل الذي عرفته البشرية في مجال تطبيقات البيوتكنولوجيا وممارستها في أرض الواقع أدت إلى الابتعاد عن الضوابط الأخلاقية ، فنشأت البيوتقيا كصرخة لإعادة النظر للتطورات التي آل إليها العلم من خلال المناقشة الأخلاقية التي تضم هيكلة مشكلة من رجال الدين والقانون والفلاسفة الذين أخضعوا هذه التطبيقات العلمية لمحك

النقد محاولين إنقاذ البشرية من غطرسة هؤلاء العلماء الذين أدى بهم الغرور العلمي إلى المجازفة والتلاعب بأرواح بشرية بريئة محاولين إخضاعهم بالقوة لمخابرهم الصناعية ، لا لشيء واحد سوى لتحقيق أهدافهم ومصالحهم الشخصية بإستخدام آليات وتقنيات محاولين المساس بهوية الإنسان وكرامته المقدسة.

وهذه المقدمة تتضمن إشكالية رئيسية لهذا البحث ثم تطرقت بعدها إلى الفصل الأول المتضمن عنوان " البيواتيقا " مفهومها وجذورها التاريخية الفلسفية ومجالاتها فتعرضنا من خلال مباحثه إلى مفهوم البيواتيقا في مبحثه الأول وجذورها التاريخية الفلسفية في مبحثه الثاني ومجالات البيواتيقا في مبحثه الثالث .

أما في الفصل الثاني تطرقت إلى عينات من هذه التطبيقات البيوطبية من خلال الإستتساخ البشري في المبحث الأول و الموت الرحيم في المبحث الثاني وتحسين النسل في المبحث الثالث. بينما في الفصل الثالث تطرقت إلى مواقف كل من علماء الأخلاق، ورجال الدين، ورجال القانون لهذه التطورات البيوطبية بالنقد الدقيق سواء من الناحية الأخلاقية للإستتساخ والموت الرحيم وتحسين النسل في المبحث الأول ، و الرؤية الدينية في المبحث الثاني ، و النظرة القانونية في المبحث الثالث. مختومة باستنتاج شامل وتلخيص إلى أهم ما توصلت إليه في هذا البحث ، آملين فيه أن يساير التطور العلمي دوما بجانب الأخلاق في تطلعاته المستقبلية.

وبخصوص الدراسات السابقة فقد اعتمدت على مجموعة من الكتب و المجلات و الأطروحات التي ساعدتني كثيرا وكانت لي سندا في تدوين بحثي ككتاب عمر بوفتاس ، و أطروحة الدكتوراة تقاحي فتيحة .

وقد بدلنا ما في وسعنا في التغلب على بعض الصعوبات التي وجهناها منها نقص المراجع في هذا الموضوع باعتباره موضوع العصر إذ يقل التأليف فيه ، و أيضا نقص الكتب في مجال الطب و البيولوجيا .

عن أفاق البحث نسعى إلى ربط التفكير الفلسفي بالواقع المعاش ، و إطلاع المشتغلين في بلادنا داخل المنظومة الطبية على البيواتيقا في أبعادها الإتيقية ، المعرفية ، القانونية ، و مسايرة مستجدات الثورة العلمية في مجال الطب الحيوي ، حارسينا على الكرامة الإنسانية و عدم المساس بهويته .

الفصل الأول

ها المبررات؟

المبحث الأول

مبحث مفاهيمي

الفصل الأول البيوانثيقا – المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

المبحث الأول : مبحث مفاهيم

مدخل

يعد موضوع الأخلاق علي الرغم من تشعبه من المباحث التي استقطبت أقلام العديد من المفكرين و الفلاسفة علي السواء ، إن قيمته لهذا المعني لا تكمن في محتوى القيم التي يتضمنها فحسب ، بل كونه يساير و يوجه في كل مرحلة من مراحل التاريخ البشري، السلوك الفكري والعلمي للإنسان أي بعبارة أخرى ، بتحديد دور الأخلاق في دورها علي تنظيم الحياة البشرية علي تنوعها و إرساء القواعد العامة للسلوك و المعاملات .

ولما كان لكل علم من العلوم لا بد أن يعرف مقصوده وان يخضع للمفهومين أحدهما لغوي و الآخر اصطلاحي فماذا نقصد به ؟

1- مفهوم الأخلاق

أ- التعريف اللغوي :

الأخلاق في اللغة « جمع خلق ، وهي العادة و السجية و الطبع و المروءة و الدين»¹. يقول ابن منظور صاحب لسان العرب واشتقاق خليق ، و ما اخلقه من الخلاقة ، وهي التمرين ، من ذلك يقول للذي ألف شيئا ، صار ذلك له خلقا أي تمرن عليه ، ومن ذلك الخلق الحسن². ومن هنا يظهر أن القائلين بعدم الترادف في اللغة العربية كانوا علي حق فهناك فروق في المعنى بين الطبع والسجية والعادة والدين.

الطبع : وهو الصفة الراسخة التي جبل عليها الإنسان دون إرادة منه ودون قصد إليها أوسع في طلبها **العادة** : هي الصفة التي يكتسبها الإنسان عن طريق المران والتدريب أي بإرادته وقصده .

السجية : بضم اللام وسكونها ومحيطها أوسع يشمل المطبوع والمكتسب الذي صار عادة ، ويقال عنه الحديث عن السجية ، وذلك أن خلق الإنسان أمر قد سكن إليه و استقر عليه³.

وقد يفسر بمعني الدين أيضا ، ومن ذلك تفسير ابن عباس لقوله تعالى " وإنك لعلى خلق عظيم " أي دين عظيم⁴.

جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ج 1 ، بيروت ، 1978 ، ص 49 .¹

محمد الستار نصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، دار القلم ، ط 1 ، الكويت ، 1982 ، ص 16 .²

³ منصور علي رجب ، تأملات في فلسفة الأخلاق ، مطبعة مخيمرة ، ط 1 ، القاهرة ، 1953 ، ص 11 .

⁴ محمد الستار نصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، المرجع السابق ، ص 16 .

ومن هنا يتضح من التعريفات السابقة ،ويجمع بينهما أن الخلق سلوك يصدر عن النفس البشرية بالفطرة أو بفعل التعود ، وقد تحول السلوك إلي طبع و سجية في تلك النفس متخذاً صفة الديمومة لا الحالة المؤقتة ، إذن الخلق هو طبع ، وكسب في أن واحد ، أو أنه طبع يتحقق بفعل الكسب .

ب - تعريف الأخلاق اصطلاحاً :

تعرف الأخلاق بكونها ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير روية وفكر وتكلف ، كما يطلق اللفظ أيضاً علي جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة ، فنقول فلان كريم الأخلاق أو سيئ الخلق ويبحث في قيمة الخير فيحاول أن يساعدنا علي توجيه سلوكنا ، بتحديدده ، لمعني الخير ومعني الشر ، و تمييزه لمعايير الفضيلة و الرذيلة¹. و نعني بهذا أن السلوكات والأفعال النابعة من الإنسان لا تحتاج إلى تفكير طويل وتأمل ونظر بل تصدر عنه بكل عفوية وتلقائية وكأنها جزء من طبع الشخص .

عرفها الجرجاني «الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة ، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر و روية ، فإذا كان الصادر عنها الأفعال الحسنة ، كانت الهيئة خلقاً حسناً ، و إن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي تصدر عنها من مصدر ذلك خلقاً سيئاً»². ويقصد بذلك أن الخلق صفة نفسية داخلية مستقرة في النفس تصدر بسهولة دون الحاجة إلي تفكير مما يدل على أن الخلق ليس فعلاً مؤقتاً ، بل صفة ثابتة في الذات تظهر بشكل تلقائي وعفوي في سلوك الإنسان .

وقد عرفها ابن مسكويه بقوله « حال للنفس داعية إلي أفعالها من غير فكر ولا روية. وهذه الحال تنقسم إلي قسمين : منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ، كإنسان الذي يحركه أدني شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب ، وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفرغ من أدني صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه ، أو كالذي يضحك ضحكا مفرطاً من أي شيء يعجبه أو كالذي يغتم و يحزن من أيسر شيء يناله ، ومنها ما يكون مستقداً بالعادة و التدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأول حتى يصير ملكة وخلقاً»³. أي أن الخلق هو صفة باطنية داخلية في الإنسان تصدر بصورة تلقائية دون تفكير مسبق وهذه الصفة تتجلي في حالتين، حالة فطرية طبيعية يولد بها الشخص وتكون جزءاً من تكوينه النفسي والجسدي ، وحالة مكتسبة بالتدريب حيث يبدأ

جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص 49¹

² خالد بن جمعة بن عثمان الخراز ، موسوعة الأخلاق ، مكتبة أهل الأثر للنشر و التوزيع ، ط 1 ، الكويت ، 2009 ، ص 22.

ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق، دار مكتبة الحياة و الطباعة و النشر، ط 2 ، بيروت ، ص 35 .³

الإنسان بالتفكير في السلوك الحسن مثلاً ثم يعتاد عليه بالترار والممارسة في حياته اليومية حتى يصبح متأصلاً فيه وراسخاً وثابتاً في طبعه وسلوكه الدائم مثل تسمية عمر بن الخطاب بالعدل و الحاتم الطائي بالكرم والجود و الأشعب بالتطفل.

هي مجموعة المبادئ المعيارية ، و القواعد السلوكية التي ينبغي أن يسير ويلتزم بمقتضاها السلوك الإنساني ، غير أن الفلاسفة لم يتفقوا على هذه النظرية الوصفية للأخلاق.

حيث ميز ديكارت (Descartes) في كتابه " مقال الطريقة " بين الأخلاق النظرية المبنية على المبادئ الفلسفية وبين الأخلاق المؤقتة المستقلة على بعض القواعد العملية التي تصلح للحياة في مجتمع معين وفي نفس السياق نجد ليفي بروبيل (Lucien Lévy Bruhl) في كتابه " الأخلاق وعلم العادات الخلقية " دعا إلى ضرورة التمييز بين الأخلاق النظرية ، والأخلاق العملية حيث يرى أن التقدم الأخلاقي لا يدل على تقدم النظريات الأخلاقية بل يدل على مطابقة السلوك العملي لقواعد الأخلاق في حياة إنسانية أفضل .

أما جون ديوي (John Dewey) وفي سياق البراغماتي فيقيم الخلق بلغة النتائج فيعرف لنا الأخلاق في كتابه " المبادئ الأخلاقية في التربية " بقوله « فالخلق على العموم معناه قوة الفاعلية الاجتماعية، الكفاءة المنظمة للوظيفة الاجتماعية»¹. وهذا يعني أن الخلق عملية تدريب للدوافع والغرائز الأولية الفطرية ، التي أصبحت منظمة في شكل عادات تعبر كوسيلة لعمل معول عليه .

والواقع أن العلاقة بين القواعد العملية و الأخلاق النظرية صلة وثيقة إلى حد بعيد ، فإذا كانت الأخلاق العملية تتمثل في القواعد التي تقوم عليها الأعمال الإنسانية ليكون صالحاً ، فإن الأخلاق النظرية أو الفلسفة الأخلاقية ، تهتم بدورها في إيضاح الأسس ، أو المبادئ التي تقوم عليها هذه القواعد ، ورسم المثل الأعلى للسلوك الإنساني كما يجب أن يكون².

¹ بلكيف سمير، الفلسفة الأخلاقية "من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء"، منشورات الاختلاف ط1، الجزائر، 2013 .

بفس المرجع ، ص 225.

الفصل الأول البيوانثيقا – المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

2 - التعريف الاصطلاحي لعلم الأخلاق

إنه علم يتناول دراسة سلوك الإنسان وأفعاله بالقياس إلي مثل الأعلى أي سلوك الإنسان الإرادي المسؤول عنه مسؤولية أخلاقية حتى يمكن وضع قواعد عامة للسلوك والأفعال يعين علي فعل الخير والابتعاد عن الشر .

وهو كذلك العلم الذي يقيم السلوك الإنساني ويضع له المقاييس والمعايير ويهتم باصلاحه وتقويمه وتهذيبه .

كما أنه علم التعريف بالفضائل ، وكيفية التحلي بها ، و اقتنائها ، و التعرف علي الرذائل و السلبيات الخلقية ، وكيفية التخلي عنها ، وتوقئها ، أي هو علم يبحث في الصفة السلوكية للإنسان¹ . ومن هنا كان السلوك أو الفعل الإنساني الذي تدرسه الأخلاق هو الفعل الصادر عن الإنسان بالاختيار الحر مع الوعي به والمعرفة .

ولقد درج علماء الأخلاق القدامى و المحدثين على تقسيم علم الأخلاق إلي قسمين : الجانب النظري و الجانب العملي .

الجانب النظري :

الأخلاق النظرية فهو يختص بالبحث في ماهية الخير والشر ووضع قواعد السلوك ومقاييس الأعمال وبالبحث في الضمير الإنساني حقيقته ومظاهره من عواطف مختلفة كالرضا والاعتباط والسرور الداخلي لفعل الخير ، و الألم والتأنيب عند فعل الشر .

كما أنه يعني بتحديد غاية الإنسان في هذه الحياة ، وكماله الذي ينشده والذي تتحقق به سعادته وما يتعلق به من أفعال .

وكذلك يبحث في ماهية الشر والخير ، و المقاييس التي تقاس بها الأعمال لبيان خيرها وشرها ، كما يبحث في الحق والواجب وما يتصل بهما² .

¹ عبد الله الشرقاوي ، الفكر الأخلاقي و دراسة المقارنة ، دار الجيل ، ط 1 ، بيروت ، 1990 ، ص 17 - 18 .

² محمد الستار نصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، المرجع السابق ، ص 16 .

الجانب العملي: فيدرس الواجبات المختلفة كواجب الإنسان نحو نفسه و ربه ، ونحو أسرته ونحو وطنه ونحو الإنسانية جمعاء ، ثم واجبه نحو الكائنات الأخرى الحية كالحيوان ، وأخيرا واجبه نحو خالقه ، وكذلك يبحث في الحقوق ، كحق الحياة والتملك.... الخ وبالجمله يختص بالرقابة لممارسة الجانب النظري ومدى تطبيقه في الحياة الواقعية للفرد والجماعة بحيث يكون من شأنه ، وبعبارة أخرى فهو يبحث في تنظيم الإنسان و تصرفاته و أعماله وأخلاقه وسلوكه لا للتعرف على خطئها أو صوابها فقط بل يطبق الحكم بمطابقة الفعل أو عدم مطابقته لقانون الأخلاق ، و بموافقة أو عدم موافقة لمعاني الحق والواجب ولمعاني الأخلاق سواء تعلق ذلك بالفرد و الجماعة .

إذن فعلم الأخلاق علم وفن ، علم من جهة معرفة القواعد ، وفن من جهة تطبيقها ويؤكد هذا الكلام الدكتور الأهوائي حيث يقول " الأخلاق نظرية وعملية ولم ينص الإسلام علي أخلاق نظرية منفصلة يتبعها السلوك العملي ويستمد قوته من تلك النظريات المقررة وإنما رسم للناس قواعد العمل الصالح الذي ينبغي أن يسير عليه ومرجع المسلمين في ذلك القرآن الكريم أولا ثم السنة مكمله للكتاب " ¹.

¹ شيخ زايد ، ودوره في إحياء دور الإسلامي للمرأة ، حولية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات ، ج2، العدد 8 ، مصر ، 2018 ، ص 1191 .

الإتيقا:

في اللغات الأوروبية نجد كلمات اتيك *ethique* وهو إسم هذا العلم في اللغة الفرنسية ترجع إلى كلمة إتيوس الإغريقية معناه العادة ويعرفها لالاند في قوله " وهو علم موضوعه الحكم التقويمي القائم على التمييز بين الخير و الشر¹.

ومن خلال قراءتنا لهذا التعريف ينظر لالاند بحسب هذا المضمون عبر مستويات ثلاثة هي :

1. الأخلاق *ethique* "و هي مجموع القواعد المعمول بها في مجتمع معين و فترة معينة"². فالأخلاق من حيث هذا المنظور تعتبر حالة عملية تكون بتطبيق قواعد السلوك المعترف بها في حالة تاريخية معينة .

وهي بهذا تعادل العادات و التقاليد الاجتماعية و الآداب العامة و هي الدلالة اللغوية عينها لكلمة *Moralis* اللاتينية .

2. الأخلاق *ethique* "و هي العلم الذي يتخذ السلوك البشري في علاقته بالأحكام التقديرية النظرية موضوعا له "³. و يعنى هذا التعريف أن الأخلاق هي نظرية حول القواعد الأخلاقية بما أنها قواعد لا مشروطة وهو اتجاه كانطي واضح .

3. الأخلاق *ethique* "وهي العلم الذي يدرس أحكام القيمة"⁴. و هي هنا تؤدي مضمون نظرية ميتافيزيقة تصبو إلى وضع نظرية في طبيعة الخير و الشر .

أما مصطلح *morale* " تعني الآداب العامة و قواعد السلوك التي تطبق في فترة و مجتمع محددين"⁵.

و يتضح من هذا التعريف أن اللفظان *Morale* و *ethique* لفظان بمعنى واحد حسب لالاند(André Lalande). ويعنيان الصفة العملية للأخلاق.

¹ أندريه لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ، ط 2 ، بيروت ، 2001 ، ص 370 .

نورة بوحناش، الأخلاق و الرهانات الإنسانية ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2013 ، ص 39 .²

نفس المرجع ، ص 39 .³

نفس المرجع ، ص 39 .⁴

نفس المرجع ، ص 39 .⁵

الفصل الأول البيوإتيقا – المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

مفهوم الأخلاق التطبيقية

قبل أن نقوم بتعريف الأخلاقيات التطبيقية يجدر بنا الحديث عن الفلسفة التطبيقية ، بوصفها الأصل الذي تفرعت منه الأخلاق التطبيقية فما المقصود بالفلسفة التطبيقية ؟

الفلسفة التطبيقية

"هي فرع من فروع فلسفة الأخلاق التي تهتم بدراسة القضايا الأخلاقية الجدلية المتعلقة بمجالات الحياة الإنسانية و أخلاقية الطب الحيوي (القتل الرحيم و الإجهاض و الاستنساخ و استخدام الأجنة في التجارب) دراسة فلسفية متعمقة من وجهة نظر الأخلاق"¹. ومن هنا نفهم أن فلسفة الأخلاق التطبيقية تهتم بدراسة القضايا الأخلاقية التي تنشأ في مجالات الطب و البيولوجيا و الهندسة الوراثية ، كما أنها تتضمن القضايا الأخرى الفلسفية و القانونية ، و الاقتصادية و الغاية الأساسية لفلسفة الأخلاق التطبيقية تتمثل في اقتراح المبادئ الأخلاقية التي يجب أن تنظم ممارسة الأطباء و العاملين في ميادين الطب و البيولوجيا و الصحة .

هو العلم الذي يتناول الدمج بين القيم و المفاهيم البيولوجيا المتعلقة بالطب و الصحة ويهتم هذا العلم بضرورة تحقيق التوازن بين التوجه العلمي و الثورة البيولوجيا مع القيم الأخلاقية و الإنسانية .

الأخلاق التطبيقية

"علم يتخذ قواعد و مبادئ عديدة و يدمجها مع بعضها البعض مع معرفة تفصيلية للوقائع و الأعراف ذات الصلة بمجال معين في الحياة مثل السياسة و علاقات الأجناس...الخ"². ومن هنا نفهم أن الأخلاق التطبيقية تهتم بتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم و تكنولوجيا ، و ما يرتبط بها من أنشطة إجتماعية و إقتصادية و مهنية ، كما تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تلك الميادين لا انطلاقا من معايير أخلاقية جاهزة و مطلقة ، بل اعتمادا على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول و التوافق ، وعلى المعالجة الأخلاقية للحالات الخاصة و المعقدة و المستعصية .

¹إيسرا إبراهيم محمد صبحي ، فاعلية وحدة مقترحة في فلسفة الأخلاق التطبيقية بإستخدام إستراتيجية العصف الذهني على تنمية التفكير الأخلاقي ، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية و النفسية ، العدد 7 ، ج 2 ، 2017

، ص 373 .

²بنين حامد جبار ، مفهوم الأخلاق التطبيقية ، مجلة متون ، ج د مولاي الطاهر سعيدة ، المجلد 16 ، العدد 1 ، 2023 ، ص 55 .

الفصل الأول البيوانثيقا – المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

تعريف البيوانثيقا :

أ- التعريف اللغوي :

كلمة بيوانثيقا حسب الموسوعة العالمية تتكون من كلمتين يونانيتين هي الأولي : بيو Bio التي تعني علوم الحياة أو البيولوجيا و الثانية إتيك Ethics والتي تعني الأخلاقيات ، لذلك نجد هناك من يترجم هذا المصطلح بأخلاقيات " الطب أو البيولوجيا " أو " أخلاقيات الطب " أو " الأخلاق الطبية " أو " أخلاقيات علوم الحياة " أو " أخلاقيات علوم الصحة والحياة " و هناك من حاول أن يدمج بين الجزء من المعني العربي و جزء من المعني اللاتيني، فترجمه إلي " البيو أخلاقيات " أو " البيو أخلاق " وهناك من حاول الإبقاء علي المصطلح اللاتيني كما هو ، وهو " البيوانثيقا"¹.

ب- التعريف الاصطلاحي:

ظهر هذا المصطلح في الولايات المتحدة الأمريكية ويعتبر البيولوجي الأمريكي فان بوتتر رينسلير (Van Potter Rensselay) أول من صاغه سنة 1970 في مقال كان قد نشره باللغة الإنجليزية سنة 1971 " Biotique bridje to futures علم الأحياء جسر المستقبل"². ومن بين الدوافع التي جعلته يستحدث هذا المصطلح هو التقدم الهائل في المجالات الطبية والبيولوجية ، والتأخر في المجال الأخلاق داخل هذا القطاع ، فأراد بذلك إقامة علاقة متضامنة بين علم البيولوجي والقيم الإنسانية ، من أجل استمرار البشرية علي قيد الحياة تحت غطاء الكرامة الإنسانية . فمنذ فجر التاريخ "لم تكن الممارسة الطبية تخلو من الضوابط وآداب يقف عندها الحكيم أو الطبيب مع مرضاه"³. حيث ظلت الممارسة الطبية مرتبطة بهذه الضوابط إلي يومنا هذا ، غير أن الانفجار المعرفي و التطور التكنولوجي الذي أدى إلى تطوير أساليب العلاج والكشف عن الأمراض وبالتالي تغير العلاقة بين المريض وطيبه وكذا تغيير القيم الاجتماعية بتطور أفرادها أدى إلي تغيير هذه الضوابط خاصة مع ظهور وتطور الأساليب التقنية في الممارسة الطبية التي كان يطلق عليها قديما Déontologie أخلاقيات الطب .

¹ إحسان علي عبد الأمير الحيدري ، البيوانثيقا بين الدين و الفلسفة ، مجلة الاداب ، العدد 33 ، جامعة بغداد، 2020 ، ص475 .

² معاشو نصر الدين ، البيوانثيقا وتحدياتها المعاصرة في ضل مجتمع المعرفة ، مجلة التميز الفكري للعلوم الإجتماعية و الإنسانية ، العدد 6 ، جامعة ابو القاسم سعد الله ، الجزائر ، 2021 ص 153 ،

³ مبارك الحجة ، البيوانثيقا وفقه النوازل (العمليات التجميلية أنموذجا) مجلة التطور ، المجلد 8 ، العدد 1 ، كلية العلوم الإجتماعية قسم الفلسفة ، 2001، ص3 .

فالبيوإتيقا: هي "مجموع القضايا الأخلاقية التي تخص الحياة و الكائن الحي"¹. ثم اتسع مدلوله ليشمل المسائل التي تطرح في إطار العلاقة بين الإنسان كنفس ، كروح ، ككائن الحي وبين محيطه الطبيعي و الاجتماعي ، وعندما قفز علم الأحياء قفزته الجديدة في مجال المورثات ، وظهرت تطبيقات طبية جديدة تماما تخص التحكم في الإنجاب والنسل بصفة خاصة ، بدا مصطلح "بيوإتيك" ينصرف إلى هذه التطبيقات والمشاكل التي يثيرها من الناحية الأخلاقية مثل إمكانية تجميد الأجنة ، و إمكانية إختيار نوع المولود من خلال التدخل في البويضات ... إلخ أضف إلى ذلك قضايا تتعلق بمهمة الطبيب وعلاقة الطبيب بالمريض وذريته.

بالإضافة إلى ذلك أن البيوإتيقا هي إحدى فروع الأخلاق التطبيقية التي تعد بدورها مجموعة من القواعد الأخلاقية العلمية التي تسعى وتهدف لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة .

وقد جاء في معجم العلوم الإنسانية الذي وصفه فرانسوا دورينه ، وترجمه جورج كتورة "إن مفهوم أخلاقيات الحياة أطلقه الأخصائي في أمراض السرطان فان بوتر رينسلير (Van Potter Rensselay) ، وقد شهدت البيوإتيقا في التسعينات نقاشا حادا طال المجتمع بأكمله ، وكان التفكير في أخلاقيات العلوم نتيجة تقدم علم الأحياء كالإنجاب الاصطناعي ، الهندسة الوراثية ، و الاستنساخ ، لأنها أمور أثارت العديد من المسائل الأخلاقية².

وهي كذلك دراسة تجمع بين تخصصات عدة تهتم بمجموع الشروط التي يطلبها التسيير المسؤول للحياة الإنسانية في إطار تقدم سريع ومعقد لمعارف في تقنيات الطب و البيولوجيا ... ونعني بهذا التعبير كيف أصبحنا ملزمين به من مسؤولية تمكن الإنسانية المستقبلية والبعيدة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى البحث عما يلزم من أشكال التقدير والاحترام للشخص الإنساني ... وهو بحث يتم في إطار ميدان الطب و البيولوجيا وتطبيقاتها المختلفة³.

وقد عرفها الباحث محمد حديدي ، أن كلمة البيوطيكا تعني اليوم فضاء متميز للنقاش الأخلاقي يضم كل الشرائح حول توجهات البحوث الطبية والتطبيقات العلاجية التابعة لها، هذا الفضاء للنقاش يكون قد شجع علي بروز مجال معرفي ، تتداخل فيه مختلف النشاطات ، والذهنيات ، وهو دلالة علي تعقيد المسائل المطروحة في هذا الصدد ، كما أنه تسبب في وضع مجموعة من الحدود والقوانين التي تسمح بتنظيم الممارسة الطبية والعلمية بشكل عام ، ولما لا تكون واحدة من رهانات الفلسفة القادمة .

محمد عابد الجبري ، قضايا في الفكر المعاصر ، المرجع سابق ، ص 65 .¹

عمر بوفتاس ، البيوإتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، ج 1 ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ص 22.²

مباركي حاجة ، البيواتقا و فقه النوازل (العمليات التجملية انموذخا) ، مجلة التطوير ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة ، ص 04 .³

المصبحث الثاني

نشأة بيواتيقا كمبحث أخلاقي جديد

(تاريخية المفهوم)

المبحث الثاني : نشأة بيوإتيقا كمبحث جديد (تاريخة المفهوم)

مدخل

إن الحمولة الأخلاقية التي يزخر بها الفكر البيوإتيقي، لا تعترض على تلك التي نادى بها الفلاسفة – رغم اختلاف مذاهبهم – مثل فكرة الواجب، المساواة، العدالة، العطف، الأمانة، الصدق وغيرها من القيم الأخلاقية.

على هذا الأساس كان للفكر الأخلاقي دور في بلورة هذه الحركة الفكرية الجديدة، وسوف يتم عرض أهم المحطات الفلسفية التي ينظر إليها كدعائم لإرساء المشروع البيوإتيقي.

أ. الأخلاق العملية عند أرسطو

إن التأصيل الفلسفي للفكر البيوإتيقي يقودنا إلى التعاليم الأخلاقية العملية التي دعا إليها أرسطو (Aristo) نجدها في كتابه "الأخلاق إلى (نيخو ماخوس Nico Majos) " فيعتبر أول كتاب يعرض فيه مذهب أخلاقي متكامل يستند على تحليلات فلسفية دقيقة، حيث اعتمد على منهج استقراء طباع الناس وأعراف المجتمعات للوصول إلى المبادئ العامة للسلوك الإنساني¹.

ويعد أرسطو من بين الفلاسفة الأوائل الذين كان لهم السبق في إرساء الفكر الإتيقي من خلال المبادئ العامة المرتبطة بالممارسات والتعاملات بين الناس، حيث دعا إلى التعقل، لأن الأخلاقية تتحقق في الحياة العقلية التي تشمل حياة المعرفة، العلم، الفلسفة حيث يقول: "كل الفنون و كل الأبحاث العقلية المرتبة، و جميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر أن غرضها شيء من الخير نرغب في بلوغه، و هذا ما يجعل تعريفهم للخير تاما"². وهذا يدل على أن الخير هو الغاية المشتركة لكل أفعال الإنسان سواء كانت فنون أو أبحاث عقلية أو أفعال أخلاقية و الخير يظهر مختلفا جدا تبعا لصنوف العمل المتنوعة، و تبعا لفنون المختلفة، وحينئذ هو غيره في الطب، غيره في فن الحركات العسكرية، فمثلا غرضه في الطب هو الصحة، و في فن الحركات العسكرية هو الظفر، و هو السبب في فن العمارة، و هو غرض آخر في فن آخر، لكن في كل فعل، و في كل مكان تصميم أدبي الخير هو الغاية نفسها التي يبتغي³.

نورة بوحناش، الأخلاق و الرهانات الإنسانية، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 142.¹

²تفاحي فتيحة، إتيقا الطب المعاصر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة الطاهر مولاي سعيدة، 2017/2018، ص 61.

³أرسطو طاليس، علم الأخلاق إلى نيغو ماخوس، ج2 نقله إلي العربية أحمد لطفي السيد، مطبعة الدار الكتب المصرية، (د-ط)، القاهرة، 1924، ص 189.

إن أول ما يعرض للباحث في الأخلاق البحث عن غاية الغايات، فالناس يعملون لغاية ، وقد تكون هذه الغاية وسيلة لغاية أخرى ،و هكذا، و لكن يجب أن تكون في النهاية غاية أخيرة ليست وسيلة لشيء ، هي التي تسمى غاية الغايات. نقول ان هذه الغاية الأخيرة محل اتفاق بين الناس وهي السعادة¹.

فكل ما يبحث الناس عنه وكل باعث لهم على العمل و ما يتطلبونه لذاته لا شيء آخر وراءه ،هو السعادة ولكن هذه الأخيرة تختلف باختلاف طبقاتهم و يبين أرسطو مفهوم السعادة باستخدام فكرة الوظيفة فكل شيء وكل كائن يؤدي وظيفة ما في هذا الوجود انسجاما مع غايته الخير وهي الوظيفة التي تميل إلى الفضيلة بمعنى أداء الوظيفة على أكمل صورتها². فمثلا فالطبيب حتى يحقق السعادة في مزاوله مهنته أمام مرضاه عليه أن يتحلى بفضائل منها الإتيقان هذه المهنة والبراعة وشرف هذه المهنة. وعليه يرى أرسطو أن اسمي فعل يحقق السعادة هو ذلك الفعل الكائن في الوظيفة العاقلة للإنسان كحيوان ناطق و هو الأمر الذي ينطبق على العقل ومن ثم يكون الفكر هو الفعل الوحيد الذي يتميز به الإنسان ككائن عاقل ، وبالتالي فالخير الأقصى هو ما يؤديه الإنسان حسب وظيفته العاقلة ، و هو كمال الوجود الإنساني و هنا يربط أرسطو السعادة بفضيلة الحكمة وهي رأس الفضائل³ .

أما عن موقفه من فكرة الواجب ، متى أدرك الإنسان الواجب كان عليه القيام به ، كما دعا إلى اتخاذ الحيطة و الحذر اتجاه المواقف ،يقول أرسطو "من الصعب أحيانا التمييز بين الطرفين ينبغي اختباره و أي الضررين يجب تفضيل احتماله عن الآخر، و في الغالب يكون أصعب من ذلك أيضا الثبات على التمسك بالأمر الذي وجب تفضيله ،لأنه في غالب الأحيان تكون الأشياء التي يتوقعها الإنسان مؤلمة و محزنة جدا ، والأشياء التي يلزمنا أياها الاضطراب مخزية جدا " .

فقد أقام أرسطو الفضيلة على العلم و الإرادة ، فالعلم يحدد الوسائل التي تحقق الغاية المرجوة من وراء الإرادة⁴ . بالإضافة إلى ذلك انه على الرغم من حداثة حقل البيوإتيقا إلا أن العلاقة بين الفضيلة و الطب قديمة قدم الطب وبالذات إلى الطبيب أبقرات (Hippocrate) عبر ذلك القسم الجليل الذي اقسم فيه على إحترام الحياة البشرية أثناء أداء العمل العلاجي و يبدو أن القسم أبقرات قسم يحمل الطبيب المسؤولية الأخلاقية على حياة المريض ، و هي الحياة التي ترتبط بالجسد و العناية به ، بهذا تكون الحكمة الإغريقية قد حددت منذ البدء الصلة بين الأخلاق و الجسد البشري⁵.

احمد امين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط2 ، القاهرة ، 1935 ، 350.

بوحناش نورة ، الاخلاق و الزهانات الانسانية المرجع السابق ،ص 145.

³ نفس المرجع ، ص 147 .

⁴ تفاعي فتحة ، اتيقا الطب المعاصر ، المرجع السابق ، ص 63 .

⁵ بوحناش نورة ، المرجع نفسه ، ص 248 .

2 فلسفة الأنوار و فكرة حقوق الإنسان

كان للفكر الفلسفي الأنواري أثر واضح في نشأة الفكر البيوإتيقي وتبلوره ويتجلى ذلك فيما يتميز به الفكر من إعلاء لفكرة العقل ، فالعقل هو المبدأ في تشكيل مختلف المؤسسات الإجتماعية و الدينية والسياسية ورفعت شعار الحرية والكرامة الإنسانية وفي عمق هذا المشروع التنويري برزت فكرة حقوق الإنسان كدعامة مركزية لرؤية جديدة تقوم على احترام الفرد وحرية و كرامته. لقد ساهم فلاسفة الأنوار في بلورة هذه الفكرة وتأسيسها نظريا وهذا ما نجده في كل من فلسفة الحق عند جون لوك (John Locke) الذي دافع عن حق الإنسان الطبيعي في الحرية والتملك والحياة ، وجون جاك روسو (John Rousseau) الذي اعتبر أن الحرية لا تتحقق إلا في ظل عقد اجتماعي عادل ، ومن هنا نتساءل كيف أثرت أفكار هؤلاء الفلاسفة على الفكر البيوإتيقي ؟

أ - فلسفة الحق عند جون لوك (John Locke)

منذ بدء الخليفة و الإنسان يسطر قصة كفاحه الدائبة و فضله المستمر مع البيئة سعيا لفهمها و التعرف على أسرارها و استهدافا لإخضاعها لخدمته و رفاهيته وهذا يتطلب التدارك العقلي الواعي . و أن الإنسان و الطبيعة لم يكن يوما يتبادل الغذاء مع الطبيعة ، بل تعود منذ طفولته على تقنيات الجو، إلا انه استطاع أن يقهر ظروفه تقنية ، هذه هي الطبيعة التي تمنح الجنس البشري نقاء القلوب وتمنعنا من ارتكاب ما يخالف الحقوق الطبيعية لأن الناس لطبعهم أختيار و ليسوا أشرار ، و إن نظام الطبيعة كان قائما على السعادة ، و أن الإنسان كان محكوما بقانون الطبيعة الذي عرفه من خلال العقل و على هذا النحو يوجد مجتمع طبيعي يعيش الأفراد في ظله و هو أسبق وجودا من المجتمع المدني أو السياسي و لذلك فان حالة الطبيعة الأولى كان يسودها الخير و السعادة و الفضيلة و هذا ما ذهب إليه جون لوك " في أن للإنسان في حالة الطبيعة حقوق مطلقة لا يخلقها المجتمع ، و إنما إستحقها الإنسان بحكم إنسانيته و أن حالة الطبيعة كما ذكر لوك "حالة الفطرة حقيقة تاريخية ، و ليست حالة توحش يسود فيها القانون الأقوى بل أنها حالة صالحة تجري على أصول القانون الطبيعي"¹.

و إذا رجعنا إلى مفهوم القانون الطبيعي فنجد أنه نسق من المبادئ يقدمها العقل الكلي ، يفسره العقل البشري لكي يجعل الحياة آمنة مطمئنة ، يدعو إلى التعاون و الإخاء ، و ينبذ كل ما يعكر صفوة حياته².

و نفهم من هذا أن هذه الحالة الطبيعة التي كان يعيشها الإنسان لم تكن منظمة بالقوانين المدنية ، فهي ليست خالية من القوانين على الإطلاق ، لأن للإنسان حقوق لا يخلقها المجتمع ، و هي الحقوق

جون لوك في الحكم المدني ، تر ماجد الفخري ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1919 ، ص 22 .¹

نفس المرجع ، ص 21 .²

الطبيعية التي تحكم الرغبات الفردية ، و تقيم العلاقات الطبيعية بين الأفراد على أساس الحرية و المساواة. و أن حالة الفطرة الجميع فيها متساوون و أحرار، و علاقة الفرد بأخيه علاقة كائن حر بكائن حر حريص كل طرف على حرية أخيه ، و هي حالة يسودها المساواة و الحرية ، كما يسود فيها من حقوق مقررّة فهي مجتمع سياسي بالفعل¹. ومن هنا نبين أن الحالة الطبيعية كان يسودها الأمن و السلام فليس هناك سيادة طبيعية لأحد على آخر حتى سلطة الأب أعطيت لكي يربي الابن و يجعل منه إنسانا أي كائن حرا فأساس الاجتماع كان مبني على الحرية و الدفاع عنها و عن كل ما يلزم منها من حقوق، مثل حق الملكية و حق الحرية الشخصية و حق الدفاع عنها لذلك يقول "و للطبيعة قوانينها التي يخضع لها كل إنسان . في مجتمع متساوين ومستقلين، وليس لأحد أن يسيء لأخيه في حياته ، أو صحته ، أو حريته ، أو ممتلكاته، فالناس جميعا عاملون في هذا الكون الذي صنعه الخالق (...)ومن أجل هذا يجتمعون و يتقاسمون ما تمنحه لهم الطبيعة، لذا تختفي مظاهر التبعية، التي تخضع بعضهم إلى الرعية في السيطرة على الآخرين ، و الإضرار بهم ، ولا يبقى في القلوب سوى حب الخير"².

ب-جون جاك روسو(John Jacques Rousseau)

يعد جون جاك روسو من رواد فكر الأنوار الذين تبنوا مفاهيم جديدة كالحرية الفردية و المساواة بين الشعب ، حيث شكلت الحرية السياسية في فلسفة روسو السياسية يرى روسو أن الحالة الطبيعية الأولى " أنها حياة هناء لم تعرف القيود ، و لم تصطنع الرياء ، حيث كان ابن الغابة لم يملك مسكنا يأويه ، ولا لغة ليخاطب بها ، بل كانت تصرفاته الغريزية تغنيه عن الألفاظ ، كان إرضاء حاجاته سهلا لقلة طلباته، كانت الشفقة في قلبهما انعكس في تصرفاته على أبناء جنسه، يتألم و يتعذب للآخرين "³. ويدل هذا على أن الحالة الطبيعية التي عاشها الإنسان كانت حياة تتسم بالمساواة و الحرية، كان سعيدا لأنه كان حرا لا تحكمه قوانين كان يعيش على ما توفره الطبيعة من حاجات بسيطة كان يعيش حياته دون تصنع ،و كان يعيش دون بيت و دون لغة معقدة، كان يتصرف بدافع الغريزة -الأكل ، النوم ، الدفاع عن النفس -علاقاته مباشرة و عفوية. كانت حياته بسيطة يمتلك إحساسا فطريا بالشفقة ، يتألم للآلام الآخرين ومن هنا نبين أن روسو أراد أن يقول لنا أن الإنسان لم يولد فاسدا بل فطرية خيره فهو خير بطبعه وإن الحياة في الحالة الطبيعية نوع من الفردوس المفقود حيث يتمتع بحرية تامة ، ويعيشون معا في انسجام و لكن عندما ظهرت الملكية و تكونت المجتمعات و ظهرت الطبقات و بدأ الناس يتنافسون و يتحاملون و يظلم بعضهم البعض و ما أكدّه روسو في قوله في

جون لوك، في الحكم المدني ، المرجع السابق ، ص 73 .¹

²جون لوك ، الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ، تر : محمود شوقي الكيال ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، (ب ط ت) ، مصر ، ص 15 .

جون لوك، في الحكم المدني، المرجع السابق، ص 24.³

كتابه العقد الاجتماعي "أدى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، إلى تغيير الإنسان جذير بالذكر كثيرا، وذلك بإحلاله العدل محل الغريزة في سيره و بمنحه أفعاله أدبا كان يعوزها سابقا ،وهناك فقط إذ عقب صوت الواجب صوت الطبيعة و عقب الحق الشهوة ، رأي الإنسان الذي لم ينظر غير نفسه حتى ذلك الحين ، اضطراره إلى السير على مبادئ أخرى، و إلى مشاورة عقله في الإصغاء إلى أهوائه " ¹.

ونفهم من خلال هذا أن روسو ابرز لنا التحول العميق الذي طرأ على الإنسان عند انتقاله من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية ، ففي الحالة الطبيعية كان الإنسان مدفوعا بغرائزه ،يسعى إلى إشباع حاجاته البيولوجية ، دون الخضوع لأي سلطة أو قوانين أو قيد لكن مع تأسيسه المجتمع المدني عبر العقد الاجتماعي بدأ الإنسان يخضع لقوانين و أداء واجبات ، مما أدى إلى تغيير في أفعاله و سلوكاته تبعا لهذه القوانين المتفق عليها و بناءا لهذا التحول حل العدل محل الغريزة ، فلم يعد يتصرف وفقا لطبيعته و غريزته ، بل أصبح يسترشد وفقا للواجب ، و هكذا اكتسب أفعالا لم تكن موجودة من قبل و قد منحه هذا التحول من الطبيعي إلى المدني مكاسب عظيمة مثل الحرية الأخلاقية و الكرامة الإنسانية ، و في المجتمع المدني يتحول الإنسان من كائن تحكمه الغريزة إلى كائن عاقل و أخلاقي قادر على التمييز بين الخير و الشر، و يتحمل مسؤولية أفعاله في إطار المجتمع .

فاحترام الإنسان للقوانين التي ألزم نفسه بها ،هي الحرية التي دافع من أجلها روسو ،و كان لها دور داخل الفكر البيواتيقي لاحقا ، و بالتالي بلورة "فكرة حقوق الإنسان و رفع شعارات مثل الحرية و الإخاء و المساواة " ². هي التي جعلت رواد الفكر البيواتيقي ينقلون الإهتمام من حقوق وواجبات الأطباء في إطار أخلاقيات الطب الكلاسيكية إلى الإهتمام بالحقوق المرضي و الأجنة و الأشخاص الذين تجرى عليهم التجارب ، ثم الإهتمام بعد ذلك بحقوق الإنسانية و حقوق الأجيال القادمة في إطار البيواتيقا و تلزم هنا أن نؤكد أن الفلسفة كان لها دور هام في هذه النقلة النوعية .

ج - فلسفة الواجب الأخلاقي عند كانط

رغم مرور ما يزيد على قرنين من الزمن على فلسفة كانط (Immanuel kant) الأخلاقية ، و رغم الطابع الإطلاقي و الشمولي للمبادئ الأخلاقية الكانطية إلا أن البعض المهتمين بالبيواتيقا يعتبرون أن الفكر الأخلاقي الكانطي المعاصر لا يمكنه أن يستوعب الإشكاليات الأخلاقية المعاصرة ،و لكنه حاضر بقوة في الفكر الأخلاقي المعاصر رغم الارتباط هذا الأخير بالواقع العلمي و التكنولوجي

¹ جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي ، تر :عادل عمر زعتر ، دار الهدى للطباعة و النشر وتوزيع ، (د - ط) ، الجزائر ، 2015 ، ص 54.

² عمر بوفتاس ، البيواتيقا - الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيو تكنولوجيا - ، المرجع السابق ، ص 36.

وللفكر الأخلاقي الكانطي تأثير واضح في الفكر البيوإتيقي رغم ارتباط هذا الأخير بالطب و البيولوجيا المعاصرين فكيف أثرت أفكار كانط علي هذا الفكر الجديد ؟

اتبع كانط في مناقشته للمشكلة الأخلاقية ما يتلاءم مع نزعتة العقلية و فلسفته النقدية و أكد أن التجربة لا يمكن أن توفر لنا برهاناً كاف على معرفة الله ، لذلك فإن موضوعات مثل الله و الحرية و خلود النفس تنتمي إلى جهاز الميتافيزيقي فالتجربة لا توفر لنا معرفة كافية عنهم .

أسس كانط فلسفة الخلقية على مفهوم الواجب و الإرادة ، و ما يتبعها من نتائج أخلاقية و اعتبر الأخلاق هي فكرة الواجب، فالواجب هو ضرورة انجاز الفعل احتراماً للقانون ، ومن هنا فالواجب هو إلزام نفضه على أنفسنا بإرادتنا الحرة ، و ما دمنا أحرار لهذا فان الإرادة الطيبة لا تخضع لأي رغبة حسية أو منفعة مادية فهي في النهاية ليست سوى ضرورة العقل بحسب ما يمكنه العقل أنها إرادة الواجب .

أما القانون فصفته الجوهرية تكمن في انه كلي أي صادق في الأحوال كافة من دون استثناء، و القانون الأخلاقي هو ذلك القانون الذي يقول لنا أن الفاعل الأخلاقي يتصرف أخلاقياً إذا سيطر العقل على كل ميوله¹.

وهذا ما يتضح في قوله "العقل المحض هو وحده عملي من تلقاء نفسه و يعطي الإنسان قانوناً عاماً نسميه القانون الأخلاقي " ². لذلك يرى كانط أن السلوك الإنساني لا يكون أخلاقياً إلا إذا صدر عن الواجب والواجب هو ما أملاه العقل و الإرادة الخيرة هي التي تلبي النداء الأول و هو العقل و تبعه عن الأهواء ، و نداء العقل هو نداء الواجب و أمره هو الذي يطاع ، فالإرادة الخيرة و الواجب متلازمان و السلوك الصالح و العقل مرتبطان ، و الواجب هو العلاج لكثير من التردد و الحيرة و ليس في نداء الواجب خداع ، و كل ما يهدف إليه الواجب هو الفصل في الكثير من المعضلات ليس فيه خداع ، وكل ما يهدف إليه هو توجيه النفس إلى الخير و يجب أن ننبه أن أفعال الإنسانية لا تكون خيراً لأنها صدرت من ميل مباشر ، أو دفعت إليها رغبة في تحقيق مصلحة شخصية ، بل يكون خيراً لأنها صدرت من اجل الواجب، لذلك جاءت الأفعال المطابقة للواجب هي الأخلاق الصحيحة الصادقة وعكس ذلك فإن كان الفعل نتيجة لمصلحة أو فائدة فهو عمل لا يمت إلى الواجب الأخلاقي بصلة . مثال التاجر الذي يتعامل بأمانة مع زبائنه لا لأنه يحترم الواجب الأخلاقي بل حفاظاً على سمعته وزبائنه من منطلق مصلحة الذاتية ، لكن هذا التاجر لا يغش و لا يخدع زبائنه لكن السبب لا أخلاقياً بل نفعياً .

¹ صابر زغلول ، فلسفة كانط بين ثغرات الالحاد و الإيمان العقلي ، مجلة الاداب و العلوم الانسانية ، العدد 76 ، 2018 ، ص 140 .

نفس المرجع ، ص 141.

إنما الفعل الأخلاقي هو الذي ينبع من الواجب الذي يشعر به لذلك يجب أن يكون سلوك الإنسان تابع من تمسكه بالواجب أو بمبادئ الأمانة ، وعكس ذلك يكون سلوكه صادر عن مصلحته الشخصية ، انه لا يعامل الناس بأمانة ولكن من اجل أن يروج التاجر تجارته و زيادة ربحه .

هذا السلوك لم يصدر عن إحساسه بالواجب لذلك يستمد الواجب قوته الحتمية عند كانط ليس من الأمر الإلهي أو من الجزاء الخارجي، بل من قدرته على إظهار كرامة الإنسان، ذلك أن جوهر الواجب¹ . عنده " ينطوي بالضرورة على المشاركة الكلية مع الآخرين في عالم توجد فيه الكثير من المخاطر ،لذلك لا يمكن أن تكون المصالح و الرغبات و التطلعات و الافضليات هي أساس للمبادئ الأخلاقية " .

و ملخص هذا أن كانط اعتبر القانون الأخلاقي غير مشروط و لا يحتاج إلى تبرير تجريبي ، فهو الأمر المطلق و يتصف هذا القانون الأخلاقي بمجموعة من الخصائص و منها انه أمر مطلق أي انه لا يرتبط بأي وسيلة ولا بأية غاية و إنما يرتبط بين الإرادة و بين القانون الكلي المباشر لا بأفعال جزئية تؤديها الإرادة ، و إنما بالقاعدة الصالحة لان تكون مبدأ الفعل فهو مجرد من كل استثناءات أو غايات منزه و كلي و إنساني و يخضع القانون الأخلاقي إلى ثلاث قواعد أساسية و ذلك تكون له قيمة أخلاقية و هي :

• قاعدة الغائية:

وجاءت صيغته " افعل الفعل بحيث أن تعامل الإنسان في شخصك ، وفي شخص سواك بوصفها وفي نفس الوقت غاية في ذاتها و لا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة² . و هو قانون كلي مطلق يشرع . للأخلاق الإنسانية فالكرامة الإنسانية هي قيمة عليا تحمي و تصون كل إنسان بما فيهم المرضى الذين هم في غيبوبة و القاصرين عقليا و غيرهم فمن الخطأ أن يعامل الإنسان إنسانا آخر كوسيلة لبلوغ غاية من اجل منافع شخصية أو اجتماعية فمثلا قد يعمد الأطباء إلى استغلال حالات مرضية لإجراء التجارب و دون اخذ موافقته بهدف دفع البحث العلمي ،غير مبالين بمصير المريض و حياته ، و دون اخذ موافقته هو و أسرته مثل هذا السلوك يعد انتهاك للكرامة الإنسانية التي تحدث عنها كانط.

صابر زغول ، فلسفة كانط بين ثغرات الإلحاد و الإيمان العقلي ، المرجع السابق ، ص 141 .¹

ايمانويل كانط ، أسس ميتافيزيقا الأخلاق ، تر : عبد الغفار مكاوي ، منشورات الجمل ، ط1 ، 2002 ، ص 108-109 .²

• قاعدة التعميم :

"افعل الفعل كما لو كان على مسلمة فعلك. أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام"¹. و نعني بهذا أن الإنسان عندما يقوم بالفعل لا يخضع لأي قوة خارجية أي كان سلطانها و إنما يقوم به بما يتفق مع القانون الذي وضعه لنفسه بنفسه و لا يخضع له إلا لأنه شرعه لنفسه بنفسه ، فالواجب الأخلاقي هو المبدأ الوحيد الذي يوجه الإرادة الخيرة التي تتمثل في إرادته ، و العمل بمقتضى الواجب أي الواجب في ذاته دون انتظار المنفعة ولا انسياق وراء رغبته.

فكل فعل أخلاقي ينبغي أن يودى احتراما للواجب فمثلا في حالات القتل الرحيم يكون الشخص قد يئس من الحياة، و فقد الأمل في مواصلتها و هو يرغب في الموت ويتمناه مثل هذا الشخص إذا ما حافظ على حياته وسط هذه الظروف لا حبا فيها ، بل لشعوره بأن واجبه يقتضي هذه المحافظة كان مسلكه أخلاقيا ، ما يمكن أن نستخلصه بشكل عام من هذا الموقف الكانطي هو تأكيد على الطابع الموضوعي للأخلاق من خلال مفهوم الواجب الأخلاقي و سيتطور هذا المفهوم العام ليأخذ صبغة خاصة في كل ميادين الطب و البيولوجيا ليصبح هو واجب الطبيب و الباحث اتجاه الإنسانية ، و واجب العالم الذي يجري التجارب البيولوجية اتجاه الأشخاص الذين يجري عليهم تجاربهم ، و واجب الطبيب نحو المريض الذي يعالجه هذا الواجب الذي لا ينحصر في العلاج ، و فعل ما يعتقد انه الأحسن بالنسبة للمريض بل هو أساس احتراما لهذا الأخير كإنسان و كشخص يتمتع بكامل حقوقه². و هذا ما أدى إلى تأسيس لجان الأخلاقيات تحمي حقوق الإنسان و كرامته ، ما دام حق الإنسان في الحياة هو حق لا يمكن فصله عن حق الحرية في تقرير المصير و قدسية الحياة الإنسانية و الحفاظ عليها بعيدا عن كل وصاية مهما كانت طبيعتها لان مهمة الفكر الأخلاقي الجديد العمل على توسيع مجال هذه الحقوق³.

د-تأثير الفلسفة الوجودية في نشأة البيوإتيقا

إذا كان اثر الفلسفة الأخلاقية الكانطية واضحا في الفكر البيوإتيقي ، فإن الفلسفة الوجودية المتمثلة بالخصوص في آراء الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre) ، هذه الفلسفة التي تهتم بدراسة الوجود الإنساني أي إنها تعنى بتلك المشكلات المتعلقة بحياة الإنسان كالموت ، القلق ، لمعاناة... الخ وهي مشكلات تبحث عن حل من اجل خروج الإنسان منها ، فهي تعتقد أن الإنسان صانع وجوده فهو ليس كتلة جامدة منغلقة على ذاتها ، كما هو الحال في مجال المادة

ايمانويل كانط ، أسس ميتافيزيقا الأخلاقي ، المرجع السابق، ص94.¹

عمر بوقناس، البيوإتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، المرجع السابق ، ص 39.²

تفاحي فتيحة ، إتيقا الطب المعاصر ، المرجع السابق، ص 69.³

الصلبة التي يتميز عنها بالحرية و الإرادة ، الشيء الذي يجعله واعيا بكل ما يجري من حوله من أحداث و أزمات و صراعات متعلقة كليا بحياته¹.

أكدت الفلسفة الوجودية على حرية الإنسان في التصرف في كل شيء ، جاعلة الفرد المرجع الأول و الأخير في بناء قيمته الخاصة². لأن الفلسفة الوجودية ثورة على كل الأفكار المثالية المجردة التي لا تمت بصلة إلى الواقع فهي فلسفة تغييرية عملية ترمي إلى تجسيد أفكارها في الواقع العملي³.

و لا يكون ذلك إلا إذ كان الإنسان حرا يختار ما يشاء لنفسه فالحرية هي محور وجود الإنسان و تفكيره ، و أن القيم الأخلاقية هي بالتالي من صنع الإنسان وحده و هذا ما يؤكد ما ذهب إليه من أن " الوجود يسبق الماهية " فالوجود هو قدرة الحرية على الخروج من الذات من اجل خلق المشاريع الجديدة ، ما الماهية فهي خلاصة ما توصلت إليه الحرية إبان مسيرتها ، و كل من يرفض هذا الخيار الصعب في الحياة يتخلى عن حريته و يرضخ لعالم ليس من طبيعته⁴.

و يقول سارتر في هذا الصدد " و أكثر من ذلك لا يستطيع أن اصدر حكما أخلاقيا ، كأن أعلن أن الحرية في الظروف العينية لا يمكن أن تكون لها غاية أو هدف آخر خلاف نفسها ، و إذا اعترف الإنسان مرة انه مبدع القيم و خالقها ، فانه لن يطلب إلا شيئا واحدا فقط هو الحرية سينادي بالحرية أساس كل القيم⁵. و نفهم من هذا أن الحرية التي ينادي بها الوجوديون تعتبر قيمة عليا و غاية قصوى للإنسان عند سارتر فالإنسان لا يولد حاملا لقيم جاهزة ، بل هو الذي يخلق القيم من خلال اختياراته الحرة ، و بالتالي تصبح الحرية أساس كل قيمة أخلاقية، فلا معنى للأخلاق دون حرية ، و لا يمكن للإنسان أن يطلب أو يسعى لشيء ما أسمى من أن يكون حرا و مسؤولا عن أفعاله .

و بما أن حرية الفرد هي محور الأساسي لوجوده فالفرد حر في أن يختار ما يشاء و يتصرف بما يريد و كذلك له حرية التصرف في ذاته و من تجليات ذلك في ميادين الطب و البيولوجيا الإجهاض الاختياري و استعمال وسائل منع الحمل و الاتجار في أعضاء جسم الإنسان ، و الموت الرحيم و مختلف أشكال التلقيح الاصطناعي و التصرف في الجينات... الخ .

و ما دام الإنسان حر في اتخاذ قراراته بمحض إرادته، فيختار قيمة أخلاقه انطلاقا من ذاته، و مواقفه و ظروفه و انه في ذلك ليس مسؤولا عن ذاته فحسب بل هو مسؤول عن كل الناس و هذا ما أكدته سارتر " أن ما نختاره لا يكون إلا الخير ،ولا خير في نظرنا إذ لم يكن خير للجميع".

¹ فريد غيو ، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2002 ، ص 70 .

عمر بوفتاس ، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق، ص 40 .²

فريد غيو ، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع السابق ، ص 71 .³

⁴ عمر بوفتاس ، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق ، ص 41 .

⁵ جان بول سارتر ، الوجودية مذهب إنساني ، تر : عبد المنعم حنفي ، مطبعة الدار المصرية ، ط1 ، القاهرة 1964 ، ص 57 .

وهكذا من مسؤولية الأطباء والممارسين في حقل الطب ، اتجاه المرضى ، ومسؤولية المجتمع ككل في حماية الإنسان من شراسة التلاعب بالخصائص الوراثية أمام الأجيال المستقبلية .

تطور الفكر البراغماتي داخل الخطاب البيوإتيقي :

تعتبر البراغماتية ابرز مصدر فلسفي للبيوإتيقا فهي مذهب فلسفي معاصر ، فالبراغماتية كلمة مشتقة من كلمة يونانية paagmata ومعناها الفعل و قد عرفها لالاند lalande في قاموسه الفلسفي إلى صفة ذريعي ذرائعي عملي و براغماتيكي بمعنى أنها صفة مأخوذة من براغما أي فعل و معنى الذريعي مزدوج ما يختص بالعمل ، النجاح ، الحياة سواء في مقابل الفطرية أو في مقابل الواجب الأخلاقي . ومن هنا فإنها من ناحية الاشتقاق فهي كلمة يونانية الأصل و تعني الفعل سواء باستعمالها كاسم أو كصفة¹.

و البراغماتية لفظ قديم معناه العمل أو الممارسة و كان تشالز بيرس (Charles Sanders Peirce) (1839-1914) أول من ادخل اللفظ في الفلسفة عام 1878 م حيث يذكر في مقاله له بعنوان " كيف نوضح أفكارنا " في إحدى المجلات في شهر يناير من ذلك العام أن معتقداتنا في حقيقة الأمر هي قواعد للعمل .

فالبراغماتيا هي مذهب ظهر أواخر القرن التاسع عشر مع بيرس و جيمس و تعني أن المعرفة مجرد ذريعة إلى العمل و أن الصدق تابع للخبرة وأن مقياس الصواب في المعرفة والعمل إنما هو الاستفادة . فهو مذهب فلسفي يقر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة التي تحقق التجربة ، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق و لا يقاس صدف القضية إلا بنتائجها العملية ، و معنى ذلك انه لا يوجد في العقل معرفة أولية نستلم منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي².

و هي بالتالي مذهب فلسفي معاصر يؤكد على النتائج التي يقدمها العمل الإنساني كما أنها تركز بالدرجة الأولى على التجربة الإنسانية و علاقتها بالواقع عكس الفلسفات المثالية التي تمجد الأفكار و تجعلها مصدر لكل حقيقة .

و البراغماتية تبعد وجود معرفة قبلية وأولية تستنبط نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي حيث نجدها تؤكد على دور التجربة العملية التي يتعامل معها الإنسان في حياته اليومية في كل جوانب الحياة حتى الجانب الأخلاقي فهي ترفض المعايير الأخلاقية المبنية على أساس الأعراف الإجتماعية ، فهي تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الفرد فهي فلسفة تصور الخير و الشر ،

¹ بن صابر محمد ، التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية جون ديوي انمودجا ، أطروحة لي نيل شهادة الدكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران ، 2018-2019 ، ص 22 .

² كرنين عماد سامي داود ، البراغماتية فلسفة المستقبل ، مجلة كلية التربية ، العدد 27 ، ج 2 ، جامعة عين الشمس، 2021، ص184.

بالنتائج لا بالمبادئ ، فالفعل متى حقق كان منفعة كان خيرا، و أن لم يحققها فهو شر ، النافع ليس أداة بل تدل على أمر أخلاقي يتمثل في السعي لتحقيق أكبر سعادة ممكنة لأكثر عدد ممكن¹ . و يتجلى التأثير البراغماتي فيما نجده في الفكر الأخلاقي الجديد من تفكير واقعي ، مصلحي ، فالبيوإتيقا ترتبط أساسا بواقع الطب و البيولوجيا و ما تطرحه من معضلات أخلاقية و قانونية و إجتماعية . فليس هذا الفكر فكرا نظريا يقوم على ما ينبغي أن يكون² . بل هو الفكر النفعي فكرا عمليا يتماشى مع التجديد و التطور الذي تعرفه التطبيقات في مجال الطب الحيوي ، مما يؤكد الطابع النسبي الذي يتسم به و في هذا الصدد يقول جون ديوي " إذا استطاع علم الأحياء مثلا أن يقدم لنا معرفة عن أسباب القدرة و العجز و القوة و الضعف فإن هذه المعرفة تكون خصبيا في سبيل الخير"³ .

و خير مثال على ذلك فإن قتل شخص سليم يمكننا من نقل أعضائه إلى عدد من المرضى لإبقاء حياتهم و إلا فإنهم سيموتون و فعل الطبيب هذا يعد أخلاقيا ما دامت غايته منفعة المريض كما يتجلى التأثير البراغماتي أيضا في التحليل الموضوعي لمشاكل و القضايا المطروحة ، مما يؤكد هذا التحليل ، انتشار طريقة دراسة الحالات التي اقتبست من طريقة تعامل بعض رجال الدين المسيحيين مع المؤمنين ، حيث استدعوا قواعد أخلاقية " مسيحية " خاصة كدراسة الحالات . و قد تم إحياء هذه الطريقة اللاهوتية و توظيفها في إطار ما يعرف بالشكل الجديد لدراسة الحالات ، و هدفها الأساسي هو تركيز الاهتمام على حالات خاصة ملموسة و بالتالي على المرضى ، فليس هناك في إطار هذه الطريقة حلول جاهزة أو مطلقة تنطبق على جميع الحالات، بل لكل حالة خصوصيتها.

فمثلا ففعل الإجهاض بدافع حماية حياة الأم المهددة من هذا الحمل، وبتغيير طريقة الإنجاب و استبدال الأعضاء و حتى تبديل شروط الموت ، إذا سيئ استخدامها فإنها تمس بالكرامة الإنسانية ، لذلك تنتظر البراغماتيا إلى الأخلاق على أنها ذلك الجزء من الذكاء الذي يخبرنا متى يستعمل الحقيقة للانسجام و الاستمرار ، و من يستعملها لتغيير الظروف و النتائج⁴ .

¹ فريدة غيوة ، اتجاهات و شخصيات في الفلسفة المعاصرة ، المرجع نفسه ، ص 100 .

عمر بوفتاس ، البيوإتيقا – الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيو تكنولوجيا ، المرجع السابق، ص 37 .
تفاحي فتحة ، إتيقا الطب المعاصر ، المرجع السابق ، ص 72 .³

عمر بوفتاس ، البيوإتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق ، ص 37 .⁴

المبحث الثالث

مجالات بيوتاتنا

(أخلاقيات العيادة ، أخلاقيات البحث

العلمي ، السياسة الصحية)

المبحث الثالث: مجالات بيواتيقا (أخلاقيات العيادة ، أخلاقيات البحث العلمي ، السياسة الصحية)
مدخل:

يتضح موضوع البيواتيقا أكثر عندما نقف عند مجالاتها الرئيسية التي تتشكل منها ميادين وتخصصات علمية متعددة منها علم الأطفال الحديثي الولادة ، السيدا ، العلاج بالمسكنات ، الأدوية الجديدة ... إلخ وهذه التخصصات مستقلة بذاتها ، ومع ذلك يمكن حصرها في ثلاثة مجالات أساسية تنتج عنها ثلاثة ميادين من التخصص وهي :

أخلاقيات العيادة

أخلاقيات البحث العلمي

أخلاقيات السياسة الصحية

و نجد معهد كيندي Kennedy Institut قام بتحليل هذه المشاكل التي تخص كل من :

✓ حقوق وواجبات المريض وعمال الصحة .

✓ حقوق وواجبات الباحثين والأشخاص الذين يشاركونهم في البحث

✓ وضع مبادئ توجيهية فيما يتعلق بالرعاية الصحية للبحوث الطبية الحيوية .

1- أخلاقيات العيادة : وهي الموضوعات الأولى التي كانت تدور حولها البيواتيقا و يصعب اتخاذ القرار بشأنها يحددها الباحث الأمريكي دافيد روي (David Roy) في اتخاذ القرارات بشأن الأطفال الحديثي الولادة المصابين بتشوهات خطيرة ، والإبقاء على الوسائل الدائمة للحياة بالنسبة للذين يوجدون في حالة غيبوبة مستمرة ، و إنعاش المرضى الذين وصلوا إلى مراحل متقدمة من المرض و يصعب التكهّن بمآلهم ، وكيف يمكن المحافظة على أسرار مريض ؟ هل نقوم بتكبير مريض مزعج ؟ هل نبوح للمريض أو المقربين منه بحقيقة مرضه ، يقول دافيد روي : ترتبط الأخلاقيات العيادية بكل ما يواجه الأطباء والفرق الطبية من قرارات وشكوك واختلافات قيمة ومعضلات وذلك سواء أمام أسرة المريض ، أو داخل غرفة العمليات أو في مكتب لاستشارة الطبية ، أو حتى في العيادة ، أو في منزل المريض ، وتستعين أخلاقيات بمبادئ إرشادية تضعها المؤسسة العلاجية أو لجنة الأخلاقيات ويطلق عليها البيواتيقا العيادية أو أخلاقيات العيادة دون تمييز دلالة على المغزى الأخلاقي لها¹ .
وتخص أخلاقيات العيادة ثلاثة أطراف أساسية المريض و الطبيب والمجتمع إنها تتمحور أولا حول المريض فهو شخص قيدته العلة ، وهو في صبره على أوجاعه قريب من الله حقيق برحمته ، وإذا كان مس الشوكة يكفر من سيئات المؤمن ، فما بالك بمن برحت به الأرض و أذاقته أشد العذاب² .
لذلك نهتم بوضعيته الصحية وآلامه وأيضا بتاريخه الشخصي و وضعه العائلي و رغباته الشخصية .

عمر بوفتاس ، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، مرجع سابق ، ص 28-29 .¹

وثيقة أخلاقيات المهنة ، كلية الطب ، جامعة طنطا ، وحدة ضمان الجودة ، 2011 ، ص 4 .²

الفصل الأول: البيواتيقا – المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

وعلى الطبيب أن يبذل كل ما في وسعه لعلاج مرضاه فيقدم الرعاية الطبية اللازمة لهم والتي تقتضيها احتياجاتهم الطبية ساعيا لتحقيق مصلحة المريض ، متجنباً الضرر ، محترماً كرامته ، مراعيًا لحقوقه ، وذلك في إطار الأخلاق¹ .

ومنها كأن يصغي للمريض ويرفع من معنوياته ، فيحسن استماع لشكواه وفهم معاناته ، وأن يتجنب التعالي عليه أو الاستهزاء به أو السخرية منه . فالعلاقة الطبية بين الطبيب والمريض تزيد من فرص فاعلية النجاح .

استئذان المريض " فجسمه ونفسه وعقله من خصوصياته التي لا يجوز لأحد أن يتصرف فيها بغير رضاه² . ونعني بهذا أنه لا بد أن يأخذ موافقة المريض أو من يمثله قبل القيام بأي عمل طبي أو جراحي وفقا لما ينص عليه نظام مزاولة مهنة الطب .

حفظ سر المريض " إطلاع الطبيب على أسرار المريض لا يبيح له كشف هذه الأسرار³ . هذا يعني أنه لا بد لنا أن نحافظ على أسرار المريض لأن البوح بها يؤدي إلي إفشائها، إلا إذا كان الإفشاء لذوي المريض أو لغيرهم مفيدا لعلاجهم ، أوفيه حماية للمخالطين له من الإصابة بالمرض « مثل الأمراض المعدية أو إدمان المخدرات » ، وفي هذه الحالة يقتصر الإخبار على ما يمكن أن يضره.

إخباره عن مرضه وإن كان خطرا أو مميتا ، فمن حق المريض أن يعرف عن حالته الصحية ومرضه وأعراضه ومآلاته علي وجه العموم ، وإذا طلب المريض تفصيلا أكثر ينبغي أن يجاب طلبه .

وتعتبر علاقة الطبيب بالمريض القضية الرئيسية في أخلاقيات العيادة الطبية وتتمحور حولها كافة المسائل الأخلاقية الأخرى ذات الصلة بالسلوك المهني ، فهناك مبادئ أخلاقية أساسية في الممارسة الطبية وهي قواعد و معايير لضبط السلوك وتقييم الأفعال الصحيحة والخاطئة ومن بين أهم المبادئ الأخلاقية الأساسية التي يجب أن يلتزم بها الطبيب والتي نذكر منها :

الإخلاص: الطبيب تقع عليه مسؤولية كبيرة في مجاله ، فهو "يطلع على أسرار المرضى ، وطبيعة مرض كل منهم ، ولذا يجب أن يراقب تصرفاته ، فلا يخرج عن إطار مهامه إلى تصرفات لا تليق بعمل الأطباء ، فنفقد ثقة المريض فيه⁴ . فالطبيب لا تقتصر مهمته على العلاج فقط ، بل تشمل أيضا الحفاظ والالتئمان على أسرار مرضاه بالحكم أنه يطلع على خصوصياتهم ، وعلى معلومات تتعلق بصحتهم وحياتهم الشخصية لذا يجب أن يحفظ أسرار مرضاه حتى لا تهتز تلك الثقة الموجودة بين الطبيب والمريض .

¹ وثيقة أخلاقيات المهنة ، كلية الطب ، المرجع السابق ، ص 29 .

² وثيقة أخلاقيات المهنة ، كلية الطب ، المرجع السابق ، ص 5 .

³ المرجع نفسه ، ص 7 .

⁴ أخلاقيات المهنة ، قسم الدراسة الإسلامية ، جامعة ملك سعود ، 1435-1436 ، ص 35 .

الصدق:الصدق صفة أساسية من صفات الطبيب ، وهو ليس صدق الكلمة فحسب ، بل " هو صدق النية وصدق العمل والأداء أيضا ، ولذا فهو يشمل العلاقات الإنسانية كلها ، ولا يليق لمن كان قدره لغيره موصوفا بالمعرفة والحكمة أن يتهم بالكذب ناهيك أن يعرف به " ¹ . وهذا يدل على أن الصدق من أهم الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الطبيب سواء لما يقوله أو نيته اتجاه المريض ، أوفي أداء وظيفته فهو من قيادات المجتمع يلجأ إليه كل مكروب ، وذا ألام وهو واثق من صدق طبيبه ، فلا يجب أن تهتز تلك الثقة،فإن اهتزت ضاع جهده سدا .

الصبر و الحلم: الطب مهنة شاقة مضنية ، والتعامل مع نوعيات مختلفة من فئات المجتمع يتطلب قدرا كبيرا من الصبر وسعة الصدر ، فلا بد للطبيب أن يتحلى بقدر كبير من الصبر والحلم ، فالطبيب الصبور يتحمل تصرفات المرضى ، ويعذر ضيق خلق بعضهم بسبب المرض والألم ، ولا يقابل الأذى.

العدل: و هو" أحد القواعد الأساسية التي يجب أن يتسم بها الطبيب ، فالطبيب يجب أن يكون منصفاً لمرضاه عادلا في معاملتهم " ² . فالطبيب يجب أن يعامل الناس معاملة واحدة فلا يميز شخص عن آخر وهم في كثير من الأحيان يسلمون إليه أمورهم ، فلا يجوز أن يستغل الطبيب هذه الثقة ، وهذه الحاجة فينقص المريض حقه ، سواء كان ذلك الحق في نوع الرعاية الطبية المناسبة للمريض أو في التكلفة المادية التي تتقل المريض.

إن أخلاقيات العيادة تتعلق بالتصرفات الأخلاقية التي يجب أن يقوم بها الأطباء ، بجانب سرير المريض ، وأهمها المواقف والقرارات التي يلزم اتخاذها والمعلومات التي يمكن التصريح بها ، فالعيادة تهتم بالوضع الصحية للمريض وما يعانيه من ألام ، وواجب الأطباء التكفل بهم والاعتناء بهم متمسكين بقيمهم الشخصية الواضحة ، وأن يكونوا علي دراية بقيم المؤسسة التي يشتغلون داخلها وقيم المجتمع والمحيط.

2- أخلاقيات البحث العلمي :

إن التقدم العلمي في شتي العلوم يحتاج إلي قيم وأخلاقيات ، فقد أصطلح أهل العلم علي أن لكل علم أدابة ، وأخلاقه ، وضوابطه المتعارف عليها ، والتي لابد من الالتزام بها ، إساءة الباحث للتصرف العلمي وتجاهل أخلاقياته يلغي الصفة العلمية و القيمة لعمله البحثي . لذلك يتفق المهتمون في مجال أخلاقيات البحث العلمي على تعريفها بأنها مبحث من مباحث علم الأخلاق ويقصد بها إحياء المثل الأخلاقية للبحث العلمي لدي الباحثين والدارسين وطلاب العلم والتي تحفظ للعلم كيانه وللبحث قوامه ³ .

¹ وثيقة أخلاقيات المهنة ، كلية الطب ، المرجع السابق ، ص 3 .

² عبد الله زعور ، أخلاقيات العلم ، دار معارف الحكمة لبنان ، 2015 ،

³ أخلاقيات البحث العلمي ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات ، الإصدار 2 ، العدد 38 ، ص 118 .

أو بمعنى آخر "هو مجموعة القواعد والمعايير والإجراءات المتعارف عليها بين أصحاب المهنة معينة ، يبنون عليها الأنظمة و القوانين العامة ويتطلب الالتزام " ونفهم من هذا أن أخلاقيات البحث العلمي هي مجموعة القواعد و المعايير التي يتفق حولها أطراف متعددة داخل المجتمع . فأخلاقيات البحث العلمي تقتضي احترام حقوق الآخرين و أرائهم و كرامتهم و للأخلاقيات البحث العلمي عامة مبدئين رئيسيين يتفرع منهما بقية الأخلاقيات ، هما : العمل الإيجابي وتجنب الضرر ، وهاتان القيمتان يجب أن تكون ركيزتي الاعتبار الأخلاقية خلال عملية البحث . والبحث العلمي بصفته مجالا يتمثل بكل ما يتعلق بالحياة في شتي أبعادها المختلفة الاجتماعية ، والسياسية ، و الاقتصادية ، و الإعلامية ...الخ.

يتطلب الالتزام بمجموعة من المعايير الأخلاقية المنفق عليها والتي تلزم الباحث بمجموعة من القواعد العامة يجب مراعاتها .

القيم الأخلاقية الحاكمة للبحث العلمي : وتتمثل في ما يلي :

الأمانة: وهي أن " يكون الباحث أميناً فيما ينقله و أن يكون مسؤولاً نحو الالتزام بضوابط البحث العلمي ومنهجيته " ¹ . وهذا يعني أن الباحث لابد أن يكون أميناً وحريصاً في كل موضوعات بحثه يتبعه في جميع المراحل التي يمر بها البحث عند الجمع (البيانات أو تحليلها أو عرض النتائج وتفسيرها) وهي أمور واضحة لا تحتاج للجدل والنقاش فلا نقدم على الزيادة فيها أو النقص منها ، أو التغيير بشكل أو آخر ، أو الانتحال ، فينتطلب الأمانة العلمية .

الدقة: وهي " سمة يجب أن تلازم البحث العلمي بتحديد مشكلة البحث والقيام بالإجراءات ، وبيان النتائج و احتمالية الوصول إليها ، والتعميم ، كل ذلك يجب أن يتم بالدقة " ² . ويشير هذا إلا أن الباحث مطالب بالالتزام الصارم بالمنهجية العلمية من خلال تحديد مشكلة البحث بدقة و إختيار أدوات و إجراءات ملائمة وجمع البيانات وتحليلها بدقة والتحقق من صدقها و لهذا تعطي هذه السمة صفة الشمول لكل ما يقوله الباحث أو يدونه أو يتوصل إليه من خلال بحثه.

النزاهة: "ويراد بها إقصاء الذات أي تجرد الباحث عن الأهواء والميول والرغبات ، و إبعاد المصالح الذاتية و الاختبارات الشخصية " ³ . ومن ثم فالموضوعية تعني إنكار الذات والبعد عن كل ما يعوق تقصي الحقائق من طلب الشهرة والمجد أو استغلال الثراء ، مع اعتصام بالصبر . والحرص على توخي الدقة حتى يتسنى للباحث أن يفحص موضوعه في أمانة ومن غير تحيز ، ويستلزم ذلك طاقة أخلاقية وروحانية نقدية ، وتحرر من أية سلطة يمكن أن تملي عليه رأياً ، ولهذا يتوخي الحق ويخلص في طلبه ، ويستبعد الغضب ويتفاني في تحري الحقائق وتمحيصها وفاء لصدق الأمانة العلمية .

¹ محمد سرحان علي المحمودي ، مناهج البحث العلمي ، دار الكتب ، الطبعة 3 ، الجمهورية اليمنية صنعاء ، 2015 ، ص 31.

² رجاء وحيد دويدي، البحث العلمي أساسياته النظرية و ممارسة العلمية ، ط1 ، المطبعة العلمية، دمشق ، ص73 .

³ أخلاقيات البحث العلمي ، المرجع السابق ، ص120 .

الفصل الأول: البيواتيقا - المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

الصدق في القول: فلا بد للباحث أن يكون صادقاً في كل ما يقوله في بحثه صدقاً يحمله مسؤولية المغالطة أو التزوير أو ما إليهما¹. فالصدق أمانة و ترجع أخلاقيات البحث العلمي ، إلي مرحلة متقدمة من التاريخ ، فقد انفصلت تدريجياً عن أخلاقيات الطب الكلاسيكية ويتأكد ذلك من مراجعة ما أكده " كلود برنار" في القرن التاسع عشر ، بشأن أخلاقيات الباحث التي هي أخلاقيات فيما يفهمها عامة الناس .

ونجد ضمن هذه المؤسسات وكالات حكومية تمارس نوعاً من المراقبة ، و المؤسسات الأكثر نموذجية في هذا الإطار هي لجان أخلاقيات البحث العلمي التي تصادق أخلاقياً بروتوكولات البحث المتعلقة بالتجارب على البشر . وسواء أكانت مجرد واجبات تتعلق بمهنة الطب أم أنها تتجاوز ذلك لتأسيس فكر أخلاقي نظري فعلي ، فإن أخلاقيات البحث العلمي تلنقي مع أخلاقيات العيادة على مستوى المصادر² .

3- أخلاقيات السياسة الصحية :

كثير من القضايا والمشاكل الأخلاقية الخاصة التي تنبثق من الممارسة داخل المختبرات العلمية أو إلي جانب المرضى في العيادات الطبية ، تتجاوز سياقها الخاص كي تؤثر في مجموع المؤسسات والجهاز الصحي والحكومة والمجتمع ككل في آخر المطاف ، ذلك هو شأن الإجهاض والموت الرحيم على سبيل المثال . ويصدق الأمر أيضاً علي قضايا أخري كتقنيات الإنجاب الحديثة والفحوص الوراثية والعلاج الوراثي ، إضافة إلي سياسات الصحة العمومية وتخصيص الموارد . ويقصد بالسياسة الصحية " بأنها القرارات والخطط والإجراءات التي يتم القيام بها لتحقيق رعاية صحية محددة لأهداف داخل المجتمع " ³ . وبالتالي فهي الخطة التي تضعها الدولة والجهات المسؤولة من أجل حماية صحة المواطنين وتحسينها من خلال تنظيم الخدمات الصحية ، وتحديد الأولويات و توفير الموارد .

ومن مبادئ السياسة الصحية :

الصحة حق مكفول لكل إنسان

خدمات رعاية صحية مستدامة وذات جودة عالية وفي متناول الجميع

سلامة وحقوق المريض

العدالة إضافة إلى نهج صحة الأسرة.

¹ رجاء وحيد دويدي، البحث العلمي أساسياته النظرية و ممارسة العملية ، المطبعة العلمية ، دمشق ، ص 73 .

² عمر بوفتاس ، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق ، ص 31-32 .

³ محمد سرحان علي محمودي ، مناهج البحث العلمي ، دار الكتب ، ط 3 ، الجمهورية اليمنية صنعاء ، 2015 ، ص 25 .

الفصل الأول: البيواتيقا – المفهوم و الجذور التاريخية و مجالاتها

إن الغرض من السياسة الصحية هو زيادة كفاءة وفاعلية النظام الصحي في تحسين صحة الفرد والمجتمع من خلال توفير سياسة صحية وطبية شاملة تحدد الرؤية والقيم والاتجاهات والاستراتيجيات لأصحاب الشأن والمجتمع فيما يتعلق بالصحة والنظام الصحي¹.

ويمكن أن نميز في إطارها بين ثلاثة مستويات أساسية :

الصحة العمومية: " أي مجموع التصرفات التي تقوم بها السلطة العمومية بهدف توفير الشروط المناسبة لصحة السكان" و تأخذ إستراتيجياتها ثلاثة أبعاد الوقاية والحماية و التحسيس الصحي **منظومة العلاج:** والمقصود بها المبادئ الموجهة والتنظيم الفعلي للعلاج الصحي . فعلى الأطباء الالتزام بمراعاة الاعتبارات الأخلاقية الآتية عند اختيار الإجراءات و الطرق الوقائية التي تضمن تحقيق مستوى ملائم للرعاية الصحية :

✓ مدى استفادة المريض من البرنامج العلاجي ومدى هذه الاستفادة

✓ احتمال استفادة المريض من العلاج

✓ تكلفة العلاج

عدد المرضى الذين سيستفيدون من العلاج².

توزيع الموارد الصحية في منطقة أو بلد ما:" وتتضمن الموارد وتخصيصها من طرف السلطات العمومية وولوج المواطنين في هذه الموارد³.

تستند عملية اتخاذ قرارات توزيع الموارد الطبية المحدودة إلى معايير طبية وأخلاقية ترتبط بما تستدعيه الحالة الصحية للمريض⁴. وتتضمن هذه المعايير احتياج المريض لهذه الموارد المحدودة ومدى العلاج ، و احتمال وقوع الوفاة ، وفي بعض الحالات ، حجم الموارد اللازمة لنجاح العلاج. فأخلاقيات السياسة الصحية إذن ، تفكير متعدد حول البعد الأخلاقي لكل القضايا التي تهم مجموعة المواطنين والتساؤلات التي يطرحونها في إطار الصحة مثل : حق المواطنين في معرفة التنظيمات التي تخص هذا المجال ، ومدى احترام حرية وكرامة الأفراد في حملات الإشهار للتدخين و السيدا على سبيل المثال ، ومدة التزام مبادئ العدالة والمساواة في ولوج لمراكز العلاج الصحي .

1 عمر بوفتاس، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، المرجع السابق ، ص 33.

محمد السامعي ، أخلاقيات المهن الصحية ، المرجع السابق ، ص 26 .²

عمر بوفتاس، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، المرجع السابق ، ص 33 .³

4 محمد السامعي ، أخلاقيات المهن الصحية ، المرجع السابق، ص 35 .

الفصل الثاني

أهم تطبيقات البيوتيك

المبحث الأول

الاستنساخ الحيوي و مسألة الهوية

المبحث الأول : الاستنساخ الحيوي ومسألة الهوية

مدخل

لقد تجاوز الخيال العلمي حدود الواقع، وتوقعات العقل الإنساني، غير أن تجارب العلماء وطموحهم حول الخيال إلى حقيقة وحقق انجازات فاقت كل التوقعات، وهيات تقنيات علاج العقم للتفكير في استنساخ البشر، بعدما ظل الاستنساخ لفترة طويلة مقتصرًا على عمل البستاني. لم يكن المقصود بالمصطلح تجربة بيولوجية شاقة. ولم يكن مرتبطًا بتعرض الإنسان لمخاطر كبيرة. لم تكن تقنيات اليوم مثل زراعات الخلايا النوعية أو التناسل اللاجنسي تخطر على بال أحد، وكان المقصود فقط بلفظ الاستنساخ Clonage مجرد طريقة قديمة وشديدة البساطة لتكاثر النباتات¹.

ومع مرور الوقت أصبحت بالنسبة لنا شيئًا آخر تمامًا.

فلم يعد يعني البستنة، لقد تم استبدال مصطلح أغصان النباتات بمصطلح زرع الأعضاء البشرية التي ابتكرها لنا فرانكشتاين على سبيل المثال أو خليط الأجناس كما في مؤلف "جزيرة الدكتور مورو" ثم أصبحت هذه المصطلحات غير مستخدمة الآن، لأن التطور الجديد للاستنساخ أصبح يعني زرع أعضاء حية ونظيفة وقوية وغير مؤلمة وقد أدى ميلاد النعجة دوللي إلى تعميم المصطلح بمفهومه البيولوجي المعاصر، وانتقلنا من الاستنساخ إلى التساؤل حول مصير الجنس البشري داخل أروقة المعامل².

ويحدث كل هذا بفضل انجازات العلماء بدءًا من اكتشاف الخلية ووصولًا إلى أ.د.ن D.A.N.

1- من الخلية إلى أ.د.ن (A. D. N).

تعريف الخلية :

إن جميع الكائنات الحية من نبات وحيوان تتألف من وحدات صغيرة مجهرية تدعى الخلايا التي تعتبر أصغر وحدة حيوية تتصف بخاصية الانقسام لتعطي خليتين متشابهتين وهكذا دواليك... وتتألف الخلية من أقسام ثلاثة: غلاف خلوي، هيولي، نواة.

تعتبر النواة مركز القيادة في الخلية وهي تحوي ما يمكن أن يدعوه كمبيوتر الخلية الحية، والذي يدعى الكروماتل الذي يحوي المادة الوراثية التي تظهر أثناء الانقسام الخلوي بشكل يدعى الكروموزومات أو الصبغيات.

الخلية في اللغة: تطلق الخلية في اللغة على عدة معاني منها: خلية النحل، ومنها الناقة المطلقة من غير عقل، ومنها: السفينة التي تسير من غير ملاح، ومنها: المرأة المطلقة. والخلية في اصطلاح علماء الأحياء: "وحدة البناء الأساسية في الكائنات الحية".

¹ عبد الحليم محمد منصور ، الاستنساخ البشري بين الطموحات العلمية و الحقائق الشرعية دراسة فقهية مقارنة ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1، الإسكندرية ، 2012 ص 11 .

المرجع نفسه، ص 12.

لمحة تاريخية:

• يعد العالم روبرت هوك (Robert hooke)، (1635-1703) أول من اكتشف الخلية وأطلق عليها اسما عام 1665 ولاحظ أنها تشبه بشكل غريب الخلايا أو الغرف الصغيرة التي كان يسكنها الرهبان، ومن هنا جاء اسمها. وبعد ذلك فإن ما رآه روبرت هوك في الواقع هو جدران الخلايا الميتة للخلايا النباتية (الفلين)¹.

وفي سنة 1672، اكتشف كل من ناثانيل كرو (Nathaniel Currier) ومارشيلو مالبيجي (Marcello Malpighi) (1628-1694) الخلايا في أنسجة النباتات.

• أما في سنة 1679 ولأول مرة وصف أنتوني فان لونهوك (Antonie van Leeuwenhoek) تاجر الأقمشة الهولندي بالاستعانة بمجهره وحيد العدسة خلايا الدم الحمراء والحيوانات المنوية (Spermatozoïdes).

• أما من قال بوجود نواة داخل كل خلية فيعود إلى مجموعة من العلماء : فان لونهوك (Van Leeuwenhoek) سنة 1702 ثم فونتانا Fontana عام 1781 ، هذا فيما يخص نواة الخلية في الأنسجة الحيوانية ، أما في الأنسجة النباتية « فيعد روبرت براون (Robert Brown) (1773-1858) أول من اكتشف بأن الخلية الحيوانية تحتوي على نواة داخلها»².

• 1809: أعلن لامارك (Antoine de Monet de Lamarck) أن للخلية وظائف هامة .

• 1840: أطلق باركنجي (Burkinje) مصطلح "البروتوبلازم" على محتويات الخلية .

• 1845: تم إلقاط أول صور بالكاميرا للأحياء المجهرية من خلال المجهر الضوئي (بداية التصوير المجهر).

• 1865: أعلن غرغور مندل Gregor Mendel نظريته في الوراثة³.

• تتلخص الدراسة التي قام بهامندل في قيامه بتهجين حبة جلبانة ملساء (م) مع آخر جعداء (ج) فحصل في الجيل الأول على حبات جلبانة كلها ملساء ، ثم قام بتهجين حبات الجيل الأول فيما بينها فحصل في الجيل الثاني على حبات بنسبة 75% ملساء و الباقي 25% جعداء⁴.

• 1902: اكتشف وليام ساتون (William Sutton) وجود عدد من الجنيات في كل كروموزوم .

• 1906: استعمل توماس هانت مورجان (Thomas Hunt Morgan) ذبابة الفاكهة في التجارب

الوراثية ، و في عام 1933 تحصل على جائزة نوبل تقديرا لأبحاثه .

تفاحي فتحة ، إتيقا طب المعاصر ، المرجع نفسه ، ص 122.¹

كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق ، ص 98-99.²

تفاحي فتحة ، إتيقا طب المعاصر ، المرجع السابق ، ص 123.³

كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق ، ص 99.⁴

و توالى الإنجازات دون توقف فكان عام 1953 إعلانا لبداية عصر جديد في علم الحياة حيث « تم فيه اكتشاف طبيعة الجين من قبل جيمز واطسون ، وفرانيس ريك ، حيث اتضح لهما : أن DNA عبارة عن لولب مزدوج مكون من جزيئين طويلين جدا متكاملين في التركيب و متطافرين » وكان هذا الاكتشاف بمثابة الأساس لبناء علم الوراثة ، فمن خلاله تأكد مسؤولية الجين على نقل الخصائص الوراثية بين الأجيال . و تحمل الجينات رسائل مشفرة موجودة داخل (ا د ن) الموجود داخل الخلية ، و على إثر هذا الاكتشاف تحصل العالمان على جائزة نوبل .

تعريف الاستنساخ في اللغة :

نسخ نسخا ، الشيء أذاله ، أبطله ، مسخه الكتاب ، نقله وكتب حرفا بحرف... وناسخه مناسخة ، نسخ أحدهما الآخر، وتناسخوا الشيء ، تداولوه أو تتابعوه، وتناسخت الأزمنة ، تتابعت. وتناسخ الورثة ، ماتوا بعضهم بعد بعض ، واستنسخ الشيء أذاله. والتناسخ انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر. نسخت الكتابة نسخا من باب نفع نقلته ، وانتسخته كذلك.

والنسخ الشرعي: هو إزالة مكان ثابت بنص شرعي ، ويكون في اللفظ والحكم ، وفي أحدهما سواء أفعّل كما في كثير من الأحكام أو لم يفعل كنسخ ذبح إسماعيل بالفداء¹ .

أما في تعريف البيولوجيا:

هو" نقل نواة خلية جسمية تحتوي على 46 كروموزوم، مكان نواة بيضة تحتوي على 23 كروموزوما، و تتولى سيتوبلازم المحيط بالنواة الجديدة في البيضة حيث النواة المزروعة وتنبهها على الانقسام، فتبدأ في الانقسام مكونة الخلايا الأولى للجنين، الذي سيصبح بعد ذلك إنسان ، وهو صورة طبق الأصل من صاحب النواة الجسمية التي زرعت نواته في البيضة² .

هو عمليه توالد غير جنسي، تتم بأخذ خلية من خلايا جسم الإنسان تحتوي على كافة المعلومات الوراثية الخاصة بالإنسان، وهذه الخلية تزرع في " بويضة الأنثى" هذا بعد تفرغها من كامل موروثاتها ليأتي الجنين مطابق للأصل وبعد ذلك تودع البويضة في رحم الأنثى ، ويتشكل الجنين على نحو مطابق للكائن الأصلي الذي أخذت منه الخلية .

من هنا سميت هذه العملية " استنساخا" لأن الجنين يكون نسخة أخرى مطابقة لصاحب الخلية³.

¹كمال محمد السعيد عبد القوي عون ، الضوابط القانونية للاستنساخ دراسة مقارنة ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، الإسكندرية ، 2013 ، ص19.

²عبد الحليم محمد منصور ، الاستنساخ البشري بين الطموحات العلمية و الحقائق الشرعية دراسة فقهية مقارنة ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1 الإسكندرية ، 2012 ، ص15.

³جعفر حسن عتريسي ، الاستنساخ جدل العصر ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، بيروت لبنان ، 2002 ، ص12.

وقد عرفه د. كارم غنيم لقوله: " أما الإستنساخ فهو عبارة عن عملية لا جنسية لكثير كائنات متطابقة وراثيا، وفيه يستخدم العلماء ما هو موجود أصلا ¹ . يعني أن الإستنساخ تقنية تكاثرية يتم فيها أخذ خلية جسدية، من حيوان بالغ واستخلاص نواتها وتهيئة الظروف المناسبة، مع حثها على الانقسام والنمو والتشكل لإنتاج كائن حي مطابق لأصل ذلك الحيوان البالغ.

هنري أتلان ، الاستنساخ البشري ، تر: نها قابيل ، ط1 ، القاهرة ، 2012 ، ص 16 .¹

تاريخية التجارب الاستنساخية:

في عام 1745 اكتشف العالم بونيت قدرة بويض الحشرات على النمو بصورة عذرية دون الحاجة إلى التخصيب من الذكر .

✓ وفي عام 1780 حدث انجازان مهمان كان أولهما تمكن العالم الإيطالي من تلقيح الكلاب صناعيا . وثانيهما أول تلقيح ناجح لامرأة بحيا من الزوج (A T H)

✓ وفي سنة 1884 انجازين آخرين وهما تمكن العالم الانجليزي هيب من تلقيح الكلاب والخيول اصطناعيا . وإجراء أول عملية تلقيح داخل الرحم TUT يحيى من متبرع¹.

✓ سنة 1914 تمكن العالم الايطالي امانتيا من تصميم أول مهبل الاصطناعي.

✓ وشهد العالم عام 1926 مسيحي اكتشاف محفزات الفندا² .

✓ وقد شهدت في عام 1938 السنة التي اكتشف فيها سبيمان هانس (Speaman Hans) (1869-1941) إمكانية نقل نواة خلية جسمية في بويضة تم إفراغها من نواتها حيث توجد المادة الوراثية...

هذا ما سمح للعالمين روبرت بريجس وتوماس كنج (Briggs et king) سنة 1952 وللمرة الأولى في تاريخ البيولوجيا بالتأكد من إمكانية نقل نواة خلية جسمية متحصل عليها من شرغوف في بويضة منزوعة النواة ، حيث لاحظ بعد هذه العملية بأن الخلية تنمو كما تنمو الخلايا الأخرى طبيعيا .

✓ وفي نفس العام " تمكن العلماء من إنتاج أول عجل بماء المنوي مجمد "³ .

✓ وفي عام 1952 ولد علم التجميد البيولوجي، وذلك باستخدام الكحول والثلج الجاف في تجميد السائل المنوي، حيث شهد هذا العام أول عملية استنساخ، فقد تم استنساخ أول ضفدع من خلايا الضفدع (شرغوف) وهي أول محاولة للإستنساخ الجسدي، كما تم إنتاج أول عجل من سائل منوي مجمد، ونجح العلماء في التخصيب الصناعي للإنسان باستخدام حمض السائل منوي مجمد⁴ .

✓ عام 1953 استطاعا العالمين جيمس واتسن (James Dewey Watson) وفرانيس كريك (Francis Harry Crick) من اكتشاف النموذج التركيبي لجزيئة الحامض النووي معدوم الأكسجين (د ن أ) D N A ، ومن هذا الاكتشاف اعتمدت الدراسات الوراثية و الحياتية على التراكيب الجزيئية ونشأ ما يسمى " علم الهندسة الوراثية أو الجينية."

✓ في عام 1956 تم تصنيع الكلوموفين أول محفز صناعي للإباضة، وتحقق عام 1958 نجاحا كبيرا على يد العالم كاركملز حيث تمكن من تحفيز الإباضة باستخدام هرمونات بشرية مستخلصة

مكرم ضياء شكاره ، علم الوراثة ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط5 ، عمان الأردن ، ص394.¹

عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، مجلة الجامعة ، العدد15 ، المجلد الأول ، ليبيا ، ص58.²

كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق، ص52.³

عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص58.⁴

- من غدد النخامية للجثث والتي كانت تستخلص بكميات ضئيلة حيث لا تكفي الهرمونات المستخلصة من جثث عدة لخمسين جثة سوى لتحفيز دورة إباضة واحدة فقط¹.
- ✓ وفي عام 1961-1965 استطاع العالم الأمريكي "جود جوزدن" أن ينسخ أجنة الضفادع لكن الأجنة ماتت في أطوارها الجنينية ولم تصل إلى الطور البالغ.
- ✓ في أثناء هذه السنوات إلى 60 و 70 تم التأكيد على أن طريقة ازدياد الانوية قادرة على توليد نسائل **clones** متشابهة من حيث الصفات الوراثية
- ✓ في سنة 1970 نجحت عملية استنساخ الفئران من الأجنة المخصبة².
- ✓ وفي عام 1972 تمكن العلماء من إحداث التوأمة صناعيا، ونقل اللقاحات فيما بين الحيوانات كالأغنام، والماعز، والجاموس، والأبقار وغيرها.. وتسمى هذه العملية "شطر الأجنة" أو توأمة الأجنة أو الاستنساخ الجنيني، حيث قام العالمان الأمريكيان باستنساخ أجنة بشرية من بويضات مخصبة، وذلك بفضل الخلايا الموجودة في مرحلة مبكرة من نموها، قبل تخصيبها وظيفيا، وحصلوا على "48" نسخة منشطرة كلها نسخ مطابقة للجنين الأول³.
- ✓ 1976 ولادة أول فئران تحوي د ن أ (D N A) البشري.
- ✓ علماء معهد سولك في لاجوك بولاية كاليفورنيا يكونون تلك الفئران عبر جينية حتى يستطيعوا أن يختبروا بمزيد من الدقة الأنوية البشرية في حيواناتهم المعملية.
- ✓ وفي عام 1978 ولادة لويزا اون طفلة الأنابيب، فلويزا أول طفلة يحصل عليها عن طريق الإخصاب في أواني المعمل الزجاجية. أي أن الحيوان المنوي والبويضة المسؤولان عن تكوين الجنين قد التقيا في أنبوب اختبار وليس في امرأة، ونمت حتى أن ولادة أكثر من مليون طفل أنبوب اختبار في البلاد الغربية⁴.
- ✓ في عام 1979 استحداث تقنية تتم بانتزاع نواة من بويضة فأرة ملقحة ووضعها في بويضة ملقحة أيضا بعد تفرغها من نواتها الأصلية، وقد نجحت العملية، وحدثت الإنقسامات الجنينية حتى تشكل الجنين حي، وبذلك أصبحت هذه التقنية هي الأساس العلمي الذي بنيت عليه تقنية الإستنساخ. النعجة دوللي.
- ✓ في سنة 1980 تم تأسيس في بريطانيا أول بنك للنطاف في العالم.
- ✓ وفي عام 1982 تم الإعلان عن إنتاج الفأر و الجرذ العملاق الذي تم تحريره جينيا بالاستئصال جين هرمون النمو، وتمت أول عملية نقل لجنين بشري من رحم امرأة أخرى⁵.

مكرم ضياء شكاره ، علم الوراثة ، المرجع السابق ، ص 394 .¹

كمال خابر، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق ، ص 55 .²

عائشة أحمد حسن ، الإستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص 58-59 .³

⁴ حينما سميث ، عصر العلوم ما بعد العلوم ، تر: مصطفى إبراهيم فهمي ، الهيئة العامة لدار الكتب و الوثائق القومية ، 2009 ، ص 222 .

عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص 59 .⁵

- ✓ في عام 1983 تولدت امرأة لأول مرة قبول حضانة جنين امرأة أخرى في رحمها، ونما حتى تمت ولادته بنجاح .
- ✓ أما في عام 1986 حصلت السيدة (ماري بيث وايتهد) بطفلة من أبوين، أي أنها أجرت رحمها¹ .
- 1987 نجح العلماء في استنساخ الخراف وراثيا والقرود من الخلايا الجينية (تقنية الانشطار) كما قام أحد الباحثين الأمريكيين باستنساخ دجاج على شكل سمان، كما تمكن العلماء من إستنساخ خمسة خنازير والعديد من الحشرات عام 1991.
- وقد بدأ في عام 1990 مشروع جينوم بشري وتحديد المورثات البشرية في العالم² .
- ✓ في عام 1993 تم استنساخ أول جنين بشري باستخدام تقنيات الإنشطار الجيني.
- ✓ في عام 1994 تمكنت ستوركييا سيرنو و أوركانول من إنتاج الهرمونات المحفزة للإباضة بطرق الهندسة الوراثية.
- ✓ في عام 1995 تمت ولادة أول حملين مستنسخين من خلايا جينية مستنسخة من جنين عمره تسعة أيام سميا " مايكان " و " موراك " في معهد روسلين اسكتلندا.
- ✓ أما في عام 1996 فقد تم استنساخ القرود لأول مرة من خلايا جينية من قبل العالم دونالد وولف (Donald Wolf) من مركز بحوث اوريجورن الاقليمي لرئاسيات ثم نجح العالم إيان ويلموت (Wilmut Ian) وزملائه. في استنساخ النعجة دوللي، وتم الإعلان عن ولادتها في سبتمبر شباط 1997 في معهد روسلين اسكتلندا. وفي العام نفسه، تم الإعلان عن إنتاج البقرة روزي التي تحمل المورثات بشرية تشفر بإنتاج حليب مدعوم بأخذ الأحماض الامينية الأساسية³ .
- ✓ في سنة 1998 نجح العلماء في استنساخ الفئران والماعز والبقر من خلايا بالغة
- ✓ في عام 2000 نجح العلماء بنفس الكيفية في استنساخ الخنازير
- ✓ ليأتي العام الذي أثار انتينوزي (Antinori) الطبيب الايطالي.
- ✓ في عام 2001 حدثت ضجة لا مثيل لها في تاريخ البشر عندما اقترح المرور إلى استنساخ الإنسان⁴ .
- ✓ وفي عام 2002 أعلن عالم الجينات الايطالي " سيفرنو انتيورينو " عن وجود خمس حالات حمل استنساخي بشري منتشرة في خمس دول.
- ✓ وفي 2002/12/02 أعلنت شركة " كلونديد " برئاسة الرانيلين عن ولادة أول طفلة مستنسخة

كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق ، 54.

عائشة أحمد حسن ، المرجع السابق ، ص 59.

مكرم ضياء شكار ، علم الوراثة ، المرجع السابق ، ص 394-395.

كمال خابر ، المرجع السابق ، ص 55.

"ايف"¹ هي لأم أمريكية من خلايا امرأة في الحادية و الثلاثين، وهي التي حملتها وولدتها وهكذا فإنه من خلال هذه الفترة التاريخية التي تمتد عدة عقود من الزمن، تمكن العلماء الجينات والأجنة من استنساخ العديد من الحيوانات من مختلف الأجناس والأصناف، إلى أن وصلوا إلى الحقيقة المرة وهي الإعلان عن استنساخ أول مخلوق بشري هي الطفلة إيف، فطوال تلك الفترة برزت الشركات العلمية التي حملت راية الاستنساخ البشري كحق من حقوق البشر في التطور حيث يتم تحديد من تمكن من استنساخ أول مخلوق بشري حتى يدخل التاريخ العلمي من أوسع أبوابه.

أنواع الاستنساخ :

1-الاستنساخ الجنسي توالدي: بأنه" تلقيح حيوان منوي يحتوي على 23 كروموزوما ، لينتج بيضة ملقحة ذات 46 كروموزوما ، ثم تنقسم هذه الخلية إلى جيل بكر من خليتين ،ثم جيل حفيد من أربع خلايا ... وهكذا تتضاعف الخلايا "². ونعني بهذا أن هذا النوع يسمى شطر الأجنة، لأن العلماء يجرون هذه العملية خارج الجسم، حيث يتم إجراء إخصاب بويضة بحيوان منوي، تبدأ بعدها البويضة بالانقسام المتساوي وفي مرحلة الخلايا يمكن فصل هذه الخلايا بعضها عن بعض، والتي تكون غير متخصصة وقادرة على الانقسام وإنتاج حيوان كامل ويتم إنتاج توأم .

2-الاستنساخ الجسدي: "ويقصد بالاستنساخ الجسدي إنتاج أفراد من خلايا جسدية مأخوذة من خلايا بالغة ويكون الفرد الناتج حاملا لصفات الفرد المانح للخلية الجسدية "³. وتتلخص هذه التقنية بإزالة نواة البويضة غير المخصبة التي تحتوي نصف العدد الأصيل من الكروموسومات، ووضع نواة خلية جسدية مكانها تحتوي العدد الكامل من الكروموسومات، ثم تحفز للانقسام بواسطة شرارة كهربائية أو مادة كيميائية ثم تزرع في رحم أنثى تم تحضيرها لعملية الحمل عن طريق حقنها بهرمون البروجسترون لتحضن الجنين حتى الولادة.

3-صور الإستنساخ : للإستنساخ أنواع منها إستنساخ علاجي" يعمل على استغلال الأعضاء البشرية والأنسجة والخلايا الجينية بهدف علاج الأمراض ،لأن الهدف من وراء التجارب العلاجية علاج المريض ، مثلا للقضاء على بعض الأمراض كانسداد "شرايين القلب فتنتج الخلايا الجذعية خلايا عضلية للقلب "⁴ . وهذا يدل على أن الإستنساخ العلاجي هو إستعمال المادة الوراثية (الجينية) من خلايا المريض ذاته لتوليد خلايا مثل خلايا عصبية لإصلاح النخاع الشوكي التالف ، وذلك عن

¹ عائشة احمد حسن ، الإستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ،المرجع السابق ، ص 60 .

² عماد عبد العاطى عبد الفتاح هدى ، الإستنساخ البشري بين الرفض والقبول - دراسة فقهية مقارنة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ،كفر الشيخ مصر ،ص 322.

³ كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للإستنساخ ، المرجع السابق ، ص 35 .

⁴فتيحة تفاحي ، الأخلاق التطبيقية - من الإيتقا إلى البيوتيقا - مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، ط1 ، جامعة سعيدة ، الجزائر 2016 ، ص39.

طريق عزل خلايا جذعية بشرية ، التي يعرف عنها قدرتها على تخليق الأنواع المختلفة من الأنسجة وهذه العملية تستخدم في علاج العديد من الأمراض .

أما الإستنساخ غير العلاجية نلمسها في مجال الإستنساخ التكاثري فهي تلك التي تطبق على شخص سليم جسميا ونفسيا باستخدام وسائل التهجين ، كما هو الحال بالنسبة للنبات والحيوان بهدف إنتاج نسخ وسلالات جديدة الأمر الذي أثار سجالات أخلاقيا حقوقيا ، قانونيا ودينيا بسبب المشاكل الأخلاقية التي تطرحها لأنه يدفعنا إلى إعادة النظر في عدة مفاهيم أخلاقية كالكرامة الإنسانية ، الواجب ، و قدسية الحياة¹. ثل استنساخ أجنة من أجل انتزاع خلاياها الجذعية يعد شكلا من أشكال الوحشية التكنولوجية كما وصفها أحد المفكري الأخلاق. وهذه النقطة هي التي سنتناولها في فصلنا الموالي في تأطير الأخلاقي للممارسات البيوطبية .

¹فتيحة تفاحي الأخلاق التطبيقية - من الالتيقا إلى البيوانتيقا ، المرجع السابق ، ص39.

المبحث الثاني

الموت الرحيم

المبحث الثاني : الموت الرحيم

مدخل

كثيرا ما ساعد التقدم العلمي و التكنولوجيا الإنسان في إيجاد حلول متعددة , لكثير من مشكلاته حتى المستعصية منها , وهذا ما يحدث على مستوى الطب و البيولوجيا فتطور العلوم الحيوية مكن الإنسان من تقليص دائرة المشكلات التي تواجهه في حياته حتى صارت التقنية هي المسير من الولادة إلى غاية الوفاة , ظاهرة ازدادت بروزا منذ النصف الثاني من القرن العشرين ، و لكن تتقلص مشكلات و تظهر أخرى على غرار ظاهرة الموت الرحيم ، التي تتزايد الاهتمام تدريجيا بهذه الظاهرة ، إذ ظهرت أحداث كثيرة غيرت ممارسة الطب بحيث تطورت إمكانيات إنقاذ حياة المرضى الذين كانوا يواجهون الموت ، كما أنها وفرت للأطباء وسائل إطالة الحياة إلا أن كثيرا من المرضى لم يكونوا سعداء بإطالة حياتهم بل وسع هذا التطور زادت طلبات المساعدة على الموت المريح او بالأحرى الموت الرحيم¹ .

التعريف الموت الرحيم

التعريف اللغوي

الموت الرحيم أو (euthanasia) كلمة يونانية تتألف من مقطعين (Thanathoseu) (e.u) وتعني بالفرنسية (Bonne) أي الجيد أو خير وهو يعني أيضا رحيم و (thanathos) و هي الموت و تعني بالفرنسية (La mort) ، و هي الموت الحسن و اللطيف بدون ألم أو معاناة² . و نعني بهذا أن يقوم الطبيب بقتل مريضه بسم قاتل و تسمى هذه العملية أيضا بالموت بدافع الرحمة أو بدافع الشفقة أي وضع حد لألام المريض الذي لا علاج له و يطلق عليه في هذا العصر الموت بكرامة.

اصطلاحا :

الموت الهادئ أو الموت الحسن، و بدون ألم و هو طريقة لإعانة الشخص على الموت بنفسه أو بمساعدة غيره موتا هادئا
✓ ذلك القتل الذي يحدث من خلال لجوء المريض أو غيره إلى وسيلة ما تستعجل بموته للتخلص من ألامه المبرحة. الميؤوس من شفائه .
✓ وهو نزع الأجهزة عن المريض الذي لا يستجيب للأجهزة أو إنهاء حياته يفسر الطب الموت على " انه عملية مساعدة للمريض على الإنتهاء من عذابه المؤلم "³ .

¹سفيان عمران ، بيوتيقا الموت الرحيم بين الاستقلالية وضرورة احترام القيم ، سلسلة الأنوار ، المجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة سطيف 2 ، 2021 ، ص 235.

²خديجة مانع ، الموت الرحيم مجاملة علمية لتبرير الانتحار او حق الموت بكرامة ، سلسلة الأنوار ، المجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة مستغانم الجزائر ، 2021 ، ص 157 .

³ولاء عبد الناصر أحمد حسن ، جذور الفلسفة للموت الرحيم ، مجلة كلية الآداب ، العدد 56 ، جامعة جنوب الوادي ، 2022 ، ص774.

و بالتالي هي عملية تسريع إنهاء حياة مريض و تقصير حالات الألم التي لا أمل في الشفاء منها ، كذلك مساعدة أهل المريض في تخفيف العذاب الذين يعيشون فيه جراء مشاهدة مريضهم في حالة يرثى لها .

هو تدخل طبي يقوم به الطبيب حين يصادف حالة مرضية ميؤوس منها ،فهو وضع حدا لمعاناة شخص مريض لا يستطيع العلاج الطبي تقديم أي مساعدة في شفائه و قد يكون هذا التدخل بطلب من المريض نفسه أو اقتراح من الطبيب و يشارك أهل المريض في صنع هذا القرار . أو هو مجموع الإجراءات التي يتخذها الطبيب من اجل وضع حد لآلام شخص مصاب بمرض مميت و لا علاج له لان الاستعمال المتداول للفظ مرض لا شفاء منه أو ميؤوس من شفائه قد يوقنا في بعض الغلط لان هنالك من الأمراض لا شفاء لها لكن لا يمكن تطبيق تقنية الموت الرحيم عليها كمرض السكري أو الضغط الدموي¹ .

التطور التاريخي للموت الرحيم

إن موضوع الموت الرحيم ليس حديث النشأة، إذ أن الشعوب و القبائل البدائية كانت تمارسه في تنقلاتها على الكسيح الذي يعيق القبيلة وتدفن أصحاب الأمراض المعدية أحياء لأسباب وقائية ، و إذا عدنا إلى بعض ، المجتمعات القديمة" التي كانت تختبر صلاحية الرجل الهرم للعيش ، بحمله على التسلق على شجرة عالية فيتمسك ذلك العجوز بغصون الشجرة حتى لا يسقط على الأرض من هذا المكان المرتفع ، و بعد ذلك يأتي بعض الرجال الأقوياء يهزون تلك الشجرة التي عليها ذلك الرجل العجوز بعنف، فان ظل العجوز قادرا على المقاومة والتمسك بالغصون دون أن يقع على الأرض اعتبره صالح للحياة² . وهذه العملية التي كانت تقوم بها المجتمعات القديمة شبيهة بالقتل بدافع الرحمة . وكان هذا النوع من القتل موجودا أيضا عند اليونانيين و الشاهد على ذلك هو قول الفيلسوف اليوناني أفلاطون ، إذا يقول في كتابه "الجمهورية " إن على كل مواطن في دولة متمدنة ، واجبا عليه أن يقوم به لأنه لا يحق لأحد أن يقضي حياته بين الأمراض و الأدوية ، و يجب تقديم كل العناية للمواطنين الأصحاء جسما و عقلا³ . وهذا يدل على أن سلامة الإنسان الجسمية و العقلية علامة علي صحته الجيدة .

خديجة مانع ، الموت الرحيم مجاملة علمية لتبرير الانتحار أم حق الموت بكرامة ، المرجع السابق ، ص 158 .¹

ولاء عبد الناصر احمد حسين ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع السابق ، ص 776.

عتيقة بلجيل ، القتل الرحيم بين الإباحة و التحريم ، مجلة الفكر ، العدد 6 ، الجزائر ، ص 255 .³

وهذا الكلام موافق لكلام سقراط و أتباعه الذين سموه التدبير الذاتي للموت بشرف و نجد سقراط سعى لتطبيق ذلك على نفسه ، و ذلك عندما سعى طلابه و تلاميذه لتهيئة الوضع لتهربيه. من السجن الذي سجن فيه و رفض ذلك بل ولجأ إلى تناول السم لكي يموت بشرف¹ .

أما أفلاطون لم يذكر مصطلح الموت الرحيم بل ركز على فكرة مفادها أن الجسم الذي تصيبه العلل و الأمراض ، و لا أمل من شفائه ينال واجب الحصول على الموت ,نظرا لان ذلك يعطل مصالح الدولة باعتبار أن الشخص الذي يمرض لا يؤدي وظائفه على الوجه الأكمل² . و يصبح عبئا ثقيلا على الدولة فضلا على تخفيف الألام و المعاناة .

وأبيقور الإغريقي 240-280 ق م موقفه في هذا بقوله: " أننا أرباب الألام و أحرار في تحملها إن كانت و على العكس ,فأننا أرباب في مغادرة الحياة التي لا تخلو لنا من نفس الروح ".
أما الفيلسوف اللاتيني سنيك لقد اظهر تأييده لأبيقور الإغريقي و ذلك بقوله " إذا ظهرت الشخوخة لتضعف قواي العقلية و إذا لم تتركني أعيش الحياة الحقيقية ,و إنما تركت لي الوجود فقط ,فإنني سأسارع خارج هذه الإقامة "³. فنجد سنيك رفض الحياة الغير الواعية التي من خللها يفقد الإنسان السيطرة علي ذاته خاصة إذا أثرت علي قدراته العقلية كحال الشيخ فتصبح الحياة بلا معنى ، إذا قبل بهذا يصبح مجرد استمرار جسدي بدون وعي أو حرية فلا فائدة من الاستمرار أما أبقرط الطبيب اليوناني و صاحب القسم الطبي المشهور اعتبر قتل المريض مظهرا صريحا للظلم الذي يمارسه الطبيب ضد مرضاه وعده بنذا مهما من بنود الطب الذي يلزم الطبيب احترامها و تطبيقها لذلك بقوله : " أنا أبدا لن اصف دواءا قاتلا لمن يطلبه و لن أقترحه على احد أو أشير به "⁴ . ويعني هذا أنا أبقرط يحث الطبيب أن يحرص على راحة المريض و توفير الأسباب العلاجية للشفاء و حتى و إن كان المرء مصاب بمرض ما لا علاج له فعلى الطبيب أن لا يحاول قتل المريض أو تكون له يد العون في هذا القتل .

و في القرن السادس عشر شهد تشجيعا من قبل الفيلسوف الانجليزي توماس مور حيث كان يناشد القضاة و الكهنة أن يدعوا المرضى غير قابلين للشفاء إلى استدراك الموت تقاديا للأوجاع و لعدم فائدة بقائهم في المجتمع فيقول في كتابه " إن كان المرض لا يعرض للموت فقط و إنما ممزوجا بآلام غامضة و أحزان متواصلة فعلى القضاة ان يحثوا التعساء على الموت ، وان يقنعوهم بأنهم أصبحوا غير مجدين لهذا العالم "⁵ .

¹ احمد شرف الدين ، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون، ط1، الكويت، ص63 .

² سفيان عمران ، بيوتيقا الموت الرحيم بين الاستقلالية وضرورة إحترام القيم ،المرجع السابق، ص238.

³ ولء عبد الناصر احمد حسن ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع السابق ، ص 779 .

⁴ مساهل سعاد ، الموت الرحيم وتطبيقه في عالم الممارسات الطبية، مخبر الفكر الإسلامي في الجزائر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص23.

⁵ ولء عبد الناصر احمد حسن ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع السابق ، ص 779 .

وهنا نظر توماس مور للمريض بنظرة إنسانية يدعو فيها القضاة إلى توجيه ونصح هؤلاء المرضى القبول بالموت لتخليصهم من الآلام والمعاناة التي يعيشونها فيحصلون على الراحة و في القرن السابع عشر فوجد أن ديكارت (1596-1650) أعطى اهتماما كبيرا للطب طوال الشطر الأعظم من حياته ، وكان على استعداد دائم لتقديم منشورة الطبية لكن الطب " كان يعني بالنسبة له ما يفوق كثيرا الشفاء ، أو تخفيف المعاناة، فهو يعهد له بمهمة أكثر اتساعا في نطاقها ، إذ كان مقتنعا بأنه من خلال معرفة الأفضل بالجسم البشري ، وعن طريق الغذاء المناسب سيغدوا من الممكن مد نطاق عمر البشر إلى قرون عديدة ¹ . و قد كانت هذه الفكرة من أفكاره المشهورة فكان يسعى أن يهتم بالطب أكثر بمعرفة الجسم البشري للحفاظ على صحته و محاربة مرضه و شيخوخته رغم انه فارق الحياة و هو لم يتجاوز سن الثالثة و الخمسون من عمره .

لكن في مقابل ذلك نجد فرانسيس بيكون (francis bacon) 1561-1626 وضع لنا مصطلح "الموت الجيد" أو "الموت الرحيم" مؤكدا على أن " عمل الطبيب لا يقتصر على استعادة الصحة فقط ، بل يجب عليه أن يعمل على تخفيف الألم و المعاناة المرتبطة بالأمراض عن طريق حصول المريض على موت سلمي و لطيف ² ، ومن هنا نفهم أن الموت المريح هو تخلص المريض من المعاناة الكبيرة التي يعيشها وتخفيف عن الآلام الموجهة و هذا هو السبب الذي يدعوه لإنهاء ، حياته لهذا فالموت الجيد كما عبر عنه بكون بعيدا تماما عن لغة العنف التي كانت تلازم متتاليات القتل بل هو تعبير صريح عن موت لطيف و سلمي .

و مصطلح الراحة هو اخذ هذا النوع من الموت بصورة هادئة بعيدة عن أي ضغط ، غايته البحث في تخفيف المعاناة ، التي يصعب فعلا التعايش معها و الاستمتاع بالحياة في ظلها . و في القرن الثامن عشر في فرنسا قام الطبيب كابايس (cabais) اتجاه صديق له يسمى ميرابو (mirabeau) حيث أصيب هذا الأخير بمرض عضال أعجزه عن النطق فطلب من الطبيب . قلم و ورقة وكتب له كلمة الموت :إلا أن الطبيب لم يستجب وبعد توسلات المريض للطبيب لتخليصه من آلامه و وصف له حقنة " افيون " للقضاء عليه.

¹ جميلة بيبو ، مفهوم الموت بين كل من الطب و الفلسفة و الدين ، مجلة الحكمة لدراسات الفلسفية ، المجلد 8 ، العدد 1، جامعة مولود

معمر تيزي وزو ، ص 9 .

² سمية بيدوح ، موت الرحيم : الفرد و الكرامة ، جامعة تونس ، 2020 ، ص 2 .

و في القرن التاسع عشر أثناء غزو نابليون لفلسطين أصاب الطاعون عكا فطلب من الطبيب " ديسجيب " هناك أن يسم مرضى المدينة المصابين بداء الطاعون ، حيث قال نابليون "أنني سوف انهي الألام المصابين بطاعون ، و سأوقف في نفس الوقت الخطر الذي يهددنا بإعطائهم (الأفيون) فأجاب الطبيب الجنرال " إن واجبي لم يكن ابد أن أقتل بل واجبي الحق في الحفاظ علي الحياة " ¹ .

و كذلك نجد الفيلسوف الألماني نيتشه الذي يعتبر من أنصار القضاء على المرضى و الشواذ باعتبارهم جرائم تعيش في المجتمع و هذا ما كتبه في قوله "طفيليات المجتمع هم أولئك المرضى الذين لا يستحقون أن يعيشوا طويلا و أولئك الذين فقدوا كل معنى المستقبل " ² .

وفي مطلع القرن العشرين و بالتحديد في ألمانيا رفض برلماني عام 1903 و حتى بعد 1913 هذا النوع من القتل و قد أثار هذا الرفض احتجاجا شديدا من قبل أنصار هذه النظرية ³ .

¹ ولاء عبد الناصر أحمدحسن ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع السابق ، ص 781 .

² مساهل سعاد ، الموت الرحيم وتطبيقه في عالم الممارسات الطبية، المرجع السابق، ص 23 .

³ رايح لالو ، القتل الرحيم بدافع الشفقة بين التجريم و الإباحة ، مجلة صوت القانون ، مجلد 8 ، العدد 2 ، كلية الحقوق و العلوم السياسية بجامعة البليدة 2 الجزائر ، 2022 ، ص 840 .

أنواع الموت الرحيم

ينقسم الموت الرحيم إلى ثلاث أنواع

النوع الأول: القتل المتعمد المباشر

صورته: أن يعتمد الطبيب المعالج إعطاء المريض الميئوس من شفائه جرعة من العلاج القاتلة أو مركبا كيمياويا قاتلا أو مخدر قوي بجرعة كبيرة بهدف قتله¹.

و هذا النوع من القتل له ثلاث صور

الصورة الأولى: الصورة الإيجابية

"تتم العملية بناء على طلب ملح من المريض الراغب في الموت و هو في حالة الوعي أو بناءا على وصية مكتوبة مسبقا"² ويكون ذلك بطلب من طبيبه المعالج قصد إنهاء حياته بسبب معاناته و آلامه المبرحة و يأسه من الشفاء .

الصورة الثانية: الصورة السلبية

و فيها يكون المريض المعني بالغا ثم فقد وعيه ، و القرار في هذه الحالة يصدر من طبيبه المعالج بناءا على رؤيته و تقديره أن ما سيقوم به هو في صالح مريضه ، و أحيانا يتخذ الطبيب هذا القرار بناءا على طلب من ولي أمر المريض، أو أسرته ، و الذين يرون أن قتل المريض المعني راحة له من المعاناة و الآلام المبرحة ، و أن قرارهم في صالح مريضهم و هذا يمكن أن يندرج تحت ما يسمى بإيقاف الأجهزة³ .

الصورة الثالثة :

وهو أن يكون المريض فيها غير عاقل ، صبيبا كان أو معتوها ، وتتم هذه العملية بناءا على قرار يتخذه الطبيب المعالج لمصلحة المريض لإنهاء معاناته و أوجاعه و آلامه⁴.

النوع الثاني: الانتحار بالمساعدة

صورته: أن يتولى المريض الميئوس من شفائه ممارسة الموت بناءا على إرشادات و توجيهات طرف آخر مستعينا به ، و هذا الطرف الآخر يقدم للمريض كافة المعلومات اللازمة و الوسائل المطلوبة التي تساعد المريض على القيام بقتل ذاته⁵ .

سمية بيدوح ، الموت الرحيم : الفرد و الكرامة ، المرجع السابق ، ص125 .¹

ولاء عبد الناصر احمد حسن ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع السابق ، ص776 .²

سمية بيدوح ، المرجع السابق ، ص125 .³

ولاء عبد الناصر احمد حسن ، المرجع السابق ، ص298 .⁴

⁵عزيز سعيد معيض القرني ، إنهاء حياة المريض الميئوس من شفائه (قتل الرحمة دراسة فقهية ، مجلة دراسات إسلامية و بحوث الاكاديمية ، العدد 104 .

النوع الثالث: القتل الرحيم غير المباشر

ويتم بإعطاء المريض جرعات من عقاقير مسكنة , لتهذئة الألام المبرحة ، و بمرور الوقت يضطر الطبيب المعالج إلى مضاعفة الجرعات للسيطرة ، على الألام و هو عمل يستحبه القانون على العلاج الطبي إلا أن الجرعات الكثيرة قد تؤدي إلى إحباط النفس و تراجع عمل عضلة القلب فتقضي إلى الموت الذي لم يكن مقصود بذاته ، و إن كان متوقعا مسبقا¹.

النوع الرابع: الموت الرحيم السلبي له صورتان

الصورة الأولى :

أن يحجم الطبيب عن تقديم العلاج للمريض الميؤوس من شفائه بحجة انه يرى عدم جدوى العلاج ، و بذلك نتركه للموت .

الصورة الثانية:

" يتوقف الطبيب المعالج عن الاستمرارية في علاج المريض الميؤوس من شفائه ، و يوقف عنه كل أنواع الأدوية ، و المحاليل المغذية، و نقص المساعدة ، وكل وسائل العناية المركزة "² . مما يؤدي إلى وفاة المريض ، وهنا قد إرتأي الطبيب وقدر أنه لا جدوى من استمرار العلاج و لا أمل في تحسن المريض .

أسباب موت الرحيم

لقد تعددت أسباب الموت الرحيم ومن بين هذه الأسباب :

1. السبب الأول " رغبة المريض الميؤوس من شفاء حالته المرضية في الموت الرحيم بغية تخفيف من الالامه و معاناته نتيجة اقتناعه التام أن مرضه مستعصي و ليس له حل "³. وهذا يدل علي أن المريض الميؤوس من شفائه رغم التقدم العلمي و التكنولوجي في المجال الطبي إلا انه استعصى وجود علاج له ، كما أن هناك بعض الأمراض استعصت على الأطباء كبعض أمراض السرطان و الايدز ...الخ ، فعجزوا عن إيجاد علاجات مناسبة لها ، مما أدى بعض المرضى إلى وضع حد لحياتهم و التخلص من المعاناة الجسدية و النفسية ، وهذا بطلب من المريض .

2. السبب الثاني: " رغبة أولياء المريض في الموت الرحيم لتخليصه من الألم رحمة به "⁴ .

¹ رابح لالو ، القتل بدافع الشفقة بين التجريم و الإباحة ، المرجع السابق ، ص 842 .

² عبد الحليم منصور ، القتل بدافع الشفقة في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي دراسة مقارنة ، مجلة البحوث القانونية والاقتصادية، المجلد 2، العدد 2، المنصرة، 2012، ص 259.

³ علي بوسكرة ، القتل الرحيم بين إقرار القانون و تحريم الشريعة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 90 .

⁴ ولاء عبد الناصر احمد حسن ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع السابق ، ص 798 .

و في هذه الحالة يتقدم أهل المريض بطلب صريح من أجل تنفيذ الموت على المريض الذي لا يرجى شفاؤه ، و يكون هذا الطلب لأسباب كثيرة منها : الرغبة لإراحة المريض من الألام الجسدية و النفسية ، و عدم جدوى العلاج أو التكاليف الباهظة للعلاج مع عدم قدرة أهل المريض على دفعها.

3. السبب الثالث : " إقتناع بعض الأطباء بإنهاء حياة المريض الميؤوس من شفاؤه"¹ . يعتبر هذا السبب من بين الأسباب الرئيسية التي تؤدي إلي للموت الرحيم وتتمثل في إقتناع عدد كبير من الأطباء الطبية بأن بعض الحالات المرضية لا جدوى من شفاؤها ، لذا يرون أنه من واجبه وضع حد لمثل هكذا حالات حتى وإن لم يوافق المريض على ذلك ، حيث يعتبرون أن هذا هو الحل الأمثل لإنهاء حالة المعاناة التي يعاني منها المريض ، و قد حدثت قضايا كثيرة كان الرأي فيها للطبيب دون طلب إذن المريض أو طلب إذن ذويه .

السبب الرابع : " وجود قوانين تجيز الموت الرحيم في بعض البلدان"² . هناك بعض البلدان تبيح للمرضى الميؤوس من شفاؤهم بالموت الرحيم وخير مثال على ذلك القانون الهولندي حيث يجيز القتل بدافع الرحمة أو الشفقة . فالأطباء الذين يمارسون الموت الرحيم مارسوه بضمير حسي و أسلوب واع حيث منحوا المرض الموت الرحيم بسلام بلا ألم أو معاناة.

4. السبب الخامس: الجانب الاقتصادي

فيعتبر نقص الإمكانيات المادية سبب آخر في ظهور الموت الرحيم ، حيث أن بعض المستشفيات تبقى عاجزة أمام الحالات الكثيرة للمرضى التي تستقبلها يوميا ما يحدث حالة طوارئ في المستشفى " و هنا تصبح الأولوية لمن هو أحق بها ، وكل هذا يجعل الأطباء يطبقون ما يسمى بالموت الرحيم بسبب تدهور الجانب الاقتصادي و قلة الأجهزة و الإمكانيات المالية و المادية للمستشفى"³ . وهذا يعني أن التكاليف الباهضة لحالات المرضى لإرجاء في شفاؤهم ، التي تكون علي عاتق الدولة سبب مهم في الموت الرحيم خاصة للأشخاص الميؤوس من شفاؤهم لذا نجد أن بعض الدول الأوروبية ترى أنه من الواجب على الأطباء القيام بفعل الموت الرحيم للأشخاص الذين لا فائدة من حياتهم ، إضافة إلى الأشخاص كبار السن الذين يعانون الشيخوخة و المرض.

¹ علي بوسكرة ،القتل الرحيم بين إقرار القانون وتحريم الشريعة الإسلامية ، المرجع السابق،ص 91.

² ولأء عبد الناصر احمد حسن ، الجذور الفلسفية للموت الرحيم ، المرجع لسابق،ص 798 .

³ علي بوسكرة ،القتل الرحيم بين إقرار القانون وتحريم الشريعة الإسلامية ،المرجع السابق ، ص 92 .

المبحث الثالث

تحسين الفصل

المبحث الثالث: تحسين النسل

مدخل

نظرا لتقدم الهائل الذي عرفته ميادين الطب و البيولوجيا و ما نتج من إفرازات لتطبيقات حيوية ، فقد أصبح الإنسان يعيش في حياة أكثر رفاهية ، و إستجابة لمتطلباته التي سعى لتحقيقها منذ القدم ، و مع الحلم الذي راود الإنسان في الماضي نحو إنجاب أطفال يمتازون بصفات متميزة وبطفل خال من العيوب و الأمراض الوراثية ، فما كان لهذه الرغبة إلا أن تتحقق اليوم ، و الأكثر من ذلك فقد تجاوز الإنسان طموحه العلاجي إلى طموح تعزيز قدراته و إنتقاء أفضل الصفات المرغوب فيها و التخلص من أسر المحدودات لتكون فتحة جديدا للتقنية الوراثية الحديثة وهي تقنية تحسين النسل " اليوجينا " .

مفهوم تحسين النسل: (Eugeina)

التعريف اللغوي لمصطلح تحسين النسل

كلمة تحسين في اللغة مأخوذة من الحسن و هو الجمال و الحسن ضد القبح ، و جمعه محاسن ، و حسن الشيء تحسينا :زينة و النسل في اللغة :الولد، لأنه ينسل من والدته ، و تتاسلوا:ولد بعضهم من بعض . و يطلق النسل كذلك على الذرية، و تتاسل بنو فلان أي كثر أولادهم و عليه يكون معنى تحسين النسل في اللغة تزيين تجميل الذرية¹ . و أما الكلمة الأعجمية (eu genics) فهي مكونة من كلمتين (eu) و(genics) كلمة (eu) و هي تعني طيب أو حسن أو سوي أو حقيقي و كلمة (genics) فهي تعني وراثي أو مكون أو مولد أو منشئ . بجمع الكلمتين (تحسين) و (النسل) يكون المعنى اللغوي :تزيين الذرية و إزالة كل قبيح فيها من فعل أو شكل أو خلق و" بتركيب الكلمتين الأعجميتين (Eugeina) يكون معناها تحسين النسل او علم تحسين النسل² .

اصطلاحا:

يقصد بتحسين النسل (Eugeina) " العلم الذي يعالج كل المؤثرات التي تحسن النوعية الأصلية للسلالة"³ . ونعني بذلك انه علم يهتم بدراسة الطرق و الوسائل التي يمكن من خلالها التأثير علي

¹أحمد بن عبد الله بن حسن المبارك ، طرق تحسين النسل البشري دراسة فقهية ،دار كنوز اشبيليا للنشر و التوزيع ، ج 1 ، ط 1 ، 2018 ، ص 25 .

²إسماعيل غازي مرحبا ، تحسين النسل دراسة فقهية ، الموقع الالكتروني للمجلات العلمية الفقهية المحكمة ، 2019 ، ص 254 .

³ المرجع نفسه، ص 54.

الصفات الوراثية للأجيال القادمة بهدف تحسين هذه الصفات الوراثية الأصلية في السلالة البشرية و" هو كذلك السعي بكل طريقة ممكنة إلى إيجاد صفات معينة في الذرية أو حجبها عنها"¹ .
و نقصد بهذا السعي : نقصد بها بذل جهد في تحصيل المراد بكل طريقة ممكنة : ليشمل كل الوسائل التي تساهم في قضية تحسين النسل البشري .

إلى إيجاد صفات معينة في الذرية: القصد منها إيجاد تلك الصفات المرغوبة عرفا و طبعا و التي تبين تحديدا مسبقا عند القيام بعملية التحسين .

أو حجبها عنها :أي السعي في حجب ومنع صفات معينة غير مرغوبة عن الذرية ، سواء كان ذلك عن طريق التحسين العلاجي للمورثات ، أو الوقائي و الإرشادي ، أو عن طريق الإجهاض أو العقم، أو حتى القتل و الإبادة لمن يحمل تلك الصفات المراد حجبها ، و هذا ما يسمى بتحسين النسل السلبي.ومن هذه التعريفات نصل إلى أن تحسين النسل يعني مجموعة من الأفكار و الأنشطة التي تهدف إلى تحسين نوعية جنس الإنسان عن طريق معالجة وراثته البيولوجية .

الجدور الفكرية

تعود جذور فكرة تحسين النسل إلى عصر الاغريقي أي في الفترة ما بين 750 الى 747 قبل الميلاد، حيث كانت عادة الناس في ذلك العصر القضاء على الأطفال المشوهين كوسيلة من وسائل تحسين النسل، و الحد من إنتشار هذه التشوهات في عروقهم .

بل إن فلاسفة الإغريق قد أشادوا بما وضعته بعض لجان تحسين النسل آنذاك " من قوانين لا تسمح لحديثي الولادة بان يبقوا على قيد الحياة إذ لم تطبق عليهم تلك القوانين، و هذا هو بعينه مبدأ تحسين النسل"² . بغض النظر عن تلك القوانين أو حتى الأعراف التي وضعت من أجلها

و هذه الأفكار تبناها الفلاسفة بدءا من أفلاطون، وتجلت في محاورة القوانين ، و التي عبر فيها على لسان الأثيني محذرا من كل ما من شأنه التأثير على صحة الرجل فيقول : "ينبغي و يجدر بالرجل أن يكون حذرا و منتبها طوال العام و طوال حياته ، و على الخصوص خلال إنشغاله بالإنجاب النسل ، و أن يمتنع بقدر ما يستطيع عن كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالصحة أو عن كل ما يتسم بالخطأ أو العنف ، ذلك أنه لا يستطيع إلا أن يضع لونه و بصمته علو نفوس و أجسام الأجنة التي لم تولد، و إلا أن يصبح أبا لنسل منحط إنحطاطا مرا"³.

و يقول أيضا : " ينبغي توليده توليدا حسنا من أبوين قويين صحيحين، يجب أن يبدأ التعليم قبل الولادة، فلا يتناسل رجل و امرأة ما لم يكونا في صحة جيدة، ويطلب من كل عريس و عروسة تقديم شهادة تثبت صحتها .وهذا يدل على أن فكرة تحسين النسل لم تكن متداولة بين العوام ولكن أشار

¹ احمد بن عبد الله بن حسن المباركى ، طرق تحسين النسل دراسة فقهية ،المرجع السابق ، ص29.

² المرجع نفسه ، ص30.

³ أفلاطون ، القوانين ، تر: تيلور، نقله إلي العربية ، محمد حسن ظاها، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط،(د.ط)، 1986، ص300.

إليها أفلاطون من خلال الإعتناء بالصحة الجسم خصوصا عندما نفكر في إنجاب الذرية حتى يولد الطفل في كامل صحته سواء البنية الجسدية أو النفسية و العقلية وبذلك وضع أساسا مهما من أسس تحسين النسل و هو الصحة الجيدة .

" وظلت فكرة تحسين النسل تراود الفلاسفة مرورا بي " كندروسة " (1743-1794) و كابانيس (1767-1808) ¹ . وهكذا نجد أن الدعوة إلي تحسين النسل ظهرت قبل ظهور مصطلح تحسين النسل نفسه كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المصطلحات . ثم إذا عدنا إلى العهد الحديث المعاصر ففي أواخر القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرون أين إرتبطت فكرة تحسين النسل إرتباطا وثيقا بالعالم البريطاني فرانسيس غالتون وهو ابن عم العالم تشالز داروين (1809-1882) فيعد أول من وضع مبادئ البوجينا و ذلك في عام 1896 إذ عرف غالتون في كتابه ذكريات حياتي (memoiries of my life)

علم تحسين النسل بأنه العلم الذي يتعامل مع جميع التأثيرات التي تعمل على تحسين الصفات الفطرية للعرف و كذلك تطويرها إلى أقصى حد ممكن ثم وصف علم تحسين النسل على انه حركة إجتماعية تهدف إلى تحسين النوع الإنساني باستخدام التكنولوجيا .

و كان يهدف غالتون من وراء الیوجينا إلى تحسين سلالة الإنسان بالتخلص بما يسمى بالصفات الغير المرغوبة ، و بإكثار الصفات المرغوبة معبرا عن ذلك بقوله " أن عمليات التطور تمضي في نشاط دائم البعض إلى الأسوء و البعض إلى الأفضل ، و مهمتنا (بالیوجينا) أن نقضى الفرص للتدخل لتعطيل الأولى و تشجيع الثانية " ² .

و قد إستلهم غالتون أفكاره من نظرية داروتين التي تقرر أن الإنسان تطور و ارتقى إلى حالته الحالية، لأن هناك تغيير يظهر على أجيال النوع خلال سنين طويلة و كل الكائنات تتقرض ما عدا الأصلح منها للبقاء .

يقول دراوين في كتابه أصل الأنواع " لا التنازع من أجل البقاء نتيجة حتمية للمعدل العالي للزيادة التي آلت إليها جميع الكائنات العضوية ، و بالرغم من أن بعض الأنواع قد تكون حاليا في حالة زيادة بالنسبة سريعة في العدد إلا أن جميع الأنواع لا تستطيع أن تفعل الشيء نفسه و ذلك لأن العالم لا يتسع لها ³ . ونعنى بهذا أن الكائنات الحية تتكاثر بنسبة مرتفعة فهي دوما في تزايد مستمر، ولكنها تفوق قدرة الطبيعة في احتواء هذه النسب المتزايدة باستمرار مما تنشأ عنها نتيجة حتمية للتنافس بين

¹ عمر بوفتاس ، البيوانتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق ، ص 337 .

² علل أحمد ، التحسين الجيني وتداعياته على المستقبل البشري ، مجلة المحترف لعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية و الإجتماعية ، المجلد 9 العدد 4، 2021 ، ص 88.

³ تقاضي فتحة ، إتيقا الطب المعاصر ، المرجع السابق ، 105 .

الأفراد حيث تبقى الكائنات الأفضل تكيفاً مع بيئتها في حين تنقرض الكائنات الأقل قدرة على التكيف وهذا يجعل الإنتقاء الطبيعي آلية مستمرة لإختيار الصفات الوراثية الأكثر نفعا .

في عام 1904 بدأ هذا العالم بإلقاء محاضرات عملية في تحسين النسل البشري كانت الغاية منها " منع تكاثر المعوقين و تنشيط تكاثر العرق الأفضل و قد ميز غالتون بين نوعين من تحسين النسل :

1. تحسين النسل الإيجابي يكون بالعلاج الوراثي عن طريق معالجة العيوب الوراثية لإنجاب الأفراد السليمين و المعافين من العيوب الوراثية كما يكون لمساعدة الأفراد السليمين و المعافين على الإنجاب و لو بالطرق الحديثة و الصناعية ،بتوفير العلاج و الغذاء و كافة أساليب الحياة للأشخاص الذين يحملون صفات القوة و الشجاعة و الذكاء و حتى الجمال أي استخدام النسل الإيجابي في الناس المرغوبين فيهم¹ . فتستخدم لأغراض تطويره .

2. تحسين النسل السلبي و يقصد به عملية تحسين النسل التي تتم باستخدام التكنولوجيا الحيوية عن طريق التعديل الجيني تستخدم فيه معالجة تلك الشفرات الوراثية المصابة بالتشوهات و هي نوع من التدخلات العلاجية التي تصبوا إلى تحسين أهداف و غايات سامية لتخليص البشرية من أمراضها الوراثية كالملازمات كمثال² . إلى جانب بعض الفلاسفة المعاصرين أمثال .

هانس جوناكس (1903-1993) ، هابرماس و غيرهم من الفلاسفة التحسين و كذا علماء الوراثة إلي أن أصبحت اليوم واقعا مجسدا في مخابر علماء البيولوجيا و أضحى الجسد عرضه للتعديل و التغيير و التحسين.

¹إسماعيل غازي مرحبا ،تحسين النسل دراسة فقهية ، المرجع السابق ، ص 257.

²علال أحمد ، التحسين الجيني وتداعياته على المستقبل البشري ،المرجع السابق ، ص 91.

الفصل الثالث

الأبعاد المختلفة للممارسات البيوطبية

المبحث الأول

نحو تأطير أخلاقي للإشكاليات البيوطبية

المبحث الأول: نحو تأطير أخلاقي لإشكاليات بيوطبية

مدخل

شهد العصر الحديث ثورة هائلة في مجال العلوم الطبية بإستخدامها أحدث التقنيات ، كتقنية الإستنساخ والموت الرحيم ، وتحسين النسل، كل هذه التقنيات في مجملها كانت لها إنعكاسات على حياة البشرية فكانت تتأرجح بين التحريم والإباحة من طرف علماء الدين ، ورجال القانون ، ناهيك عن علماء الأخلاق . فالى أي حد تشكل هذه التقنيات البيوطبية الحديثة تجاوزا أخلاقيا لقيم الكرامة الإنسانية و المساس بهوية الإنسان؟

1) الاستنساخ وهوية الإنسان

بدأ الإستنساخ يحتل النقاشات العلمية في عام 1996م منذ لحظة ولادة النعجة " دوللي " من خلال تقنية النقل الخلوي للخلايا بواسطة " إيان ويلموت " وزملائه ، وتعد دوللي أول أنثى تنتمي إلى الثدييات ، ناتجة عن خلية جسدية بالغة ، وليس من خلال التزاوج الطبيعي الذي يحصل بواسطة خلية جنسية وقد اكتشف العلماء بعد هذا الإنجاز والتطور العلمي العديد من الإشكاليات و المفاصد الأخلاقية يصل بعضها إلى درجة الخطر ، مما يستوجب توضيحها ومعرفتها ، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالجانب البشري ومن بين هذه الإشكاليات ما يلي:

(أ) الإخلال بأخلاقيات التنوع البشري: لقد اتفق العلماء باختلاف تخصصاتهم وانتماءاتهم على أن تطبيق تقنية الإستنساخ في عالم البشر " سيؤدي إلى إنتاج نسخ متطابقة ومتماثلة ، مما يؤدي إلى اختفاء سمة ضرورية وهي " التنوع الإحيائي " أو " التنوع البيولوجي " ، وهي ما يعرف باستقلالية الإنسان¹. ونقصد بذلك أن استخدام تقنية الإستنساخ ينتج عنه نسخا متطابقة من نفس الكائن و يقلل من تنوع الجيني و يلغي واحدة من أهم الخصائص التي خص بها الخالق ، سبحانه وتعالى المادة الوراثية ، وهي القدرة علي التباين والاختلاف بين الأفراد ليكون كل فردا متميزا عن بقية البشر ، وهذا في حد ذاته يعد جريمة ضد الإنسان المستنسخ ، لأنه يفقد وحدانية الجينوم ، وبالتالي وحدانيته وتفرده شخصية .

فاستخدام تقنية الإستنساخ يقضي علي تمايز الناس فيتشابه الأفراد داخل المجتمع وتتطابق صفاتهم فتعم القوضى والسلب لحقوق الآخرين ، وإلقاء التهم علي أصحابها للتشابه بين الأفراد المستنسخة كمالا يستطيع أن يبين من هو المجرم الحقيقي ، أو حدوث اللبس في قاعة الامتحانات... وغيرها من حالات الالتباس التي ستحدث في وجود الأشخاص المتماثلة بسبب مجيئهم عن طريق الاستنساخ

¹ عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق، ص 61 .

ب) يؤدي الإستنساخ إلى تهديد الكرامة البشرية: فالاستنساخ يؤدي إلى انتهاك حقوق الإنسان و قدسية الحياة البشرية، لأنه يطمس الهوية الفردية للإنسان ، " ففي حالة الاستنساخ "لا يمكن التمييز بين الشخص المانح للخلية ، وبين المستنسخ من حيث الشكل ، والخرطة الجينية .
ما يؤدي إلى تدمير الشعور بالذات ، وذلك لوجود تطابق بين الشخص المانح للخلية والشخص المستنسخ منه فيترتب على هذه مشاكل مختلفة على صعيد الفرد من جهة وعلى صعيد المجتمع من جهة أخرى¹. وهذا يعني أن الفرد المستنسخ لا يملك هويته النفسية والاجتماعية والوراثية الطبيعية الخاصة به ، لأنه نسخة مصغرة عن آخر ، ما يعني أن خلية المانح ستكون متقدمة في العمر ، وهذا يسبب أزمات في المستقبل للمستنسخ ، لأن جيناته قد تحددت بصورة مسبقة ، ما جعله شبيها بشخص آخر ، وهذا ما يترتب عليه معاناة هذا الفرد و الانقاص من حقوقه ونظرة الاحتقار إليه من طرف المجتمع.

ج) الاستنساخ يؤدي إلى اختلاط الأنساب: لأن الشخص المستنسخ سيكون حاملا لصفات الأب دون الأم ، التي لا تعدو مجرد وعاء حمل ، فهو صورة طبق الأصل لزوجها لا تربطها به أية علاقة أو صفة وراثية ، حتى تشعر بالعطف والحنان اتجاهه ، فالإستنساخ : " يبدو في ظاهره أنه بعيد عن مسألة اختلاط الأنساب إلا أننا عندما ننظر إليه بالعمق نجد أنه يؤدي بالتأكيد إلي اختلاط أنساب². ويتضح ذلك أكثر في هذا المثال فالأم التي أنجبت طفلا من خلية جسدية الأب تلد طفلا ليس لها علاقة به من الناحية الوراثية ، وينتمي وراثيا إلى الأب ، ويقتصر دورها على إعطاء المحتوي أو البويضة الخالية من النواة التي تحتوي على المادة الوراثية ، ثم حمل هذا الجنين لمدة تسعة أشهر في بطنها ، أي أن دورها أصبح عبارة عن وعاء لإنجاب الجنين لا ينتمي إليها على الإطلاق من الناحية الوراثية ، وانعدام الرابطة الدم بين الأم والطفل يجعلها تسعى لإنجاب نسخة طبق الأصل منها بنفس الطريقة وهنا يتساءل الدكتور عبد الهادي مصباح متسائلا " فأين روابط الدم التي نتحدث عنها ، وأين الصفات الوراثية المشتركة التي تجمع بين الأخوة ؟ وكيف سيصبح هذا الأخ محرما لأخته التي لا تمت له بصلة ؟ ³. وذلك لأن الأم كذلك تأخذ منها خلية ، حيث لا يكون للأب أي دور في عملية الإنجاب هذه الطفلة . ومنه نتحدث عن ماهية العلاقة التي تربط الطفلة بأخيها السابق المأخوذ خليته من الزوج . وهكذا فعملية الإستنساخ ستؤدي إلى اختلاط الأنساب ، الذي يترتب عليه كثير من الأضرار فيما يتعلق بالمصاهرة والزواج ، وحق الميراث والوصية ... وغيرها من الحقوق فالإنسان المستنسخ سيشعر بأنه ضائع ليس له أسرة أو هوية .

¹سوزان عماد الدبابسة ، الاستنساخ والضوابط الأخلاقية دراسة تحليلية ، مجلة جامعة المدينة العالمية ، العدد 47 ، جامعة الأردن، 2022، ص222.

²عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص64.

³ المرجع نفسه ، ص64.

ت) يؤدي الاستنساخ إلى خطر العبودية: و يتمثل ذلك استنساخ أشخاص متفوقين ، ومن نوع معين في الخصائص والقدرات ، ما يؤدي إلى التحول إلى شكل جديد من أشكال العبودية ، لأن المستنسخ سيكون عبدا للجين المتفوق والهدف الذي صنع من أجله¹.

ث) الاستنساخ سيؤدي إلى اختلاط الأنواع: فالله عز وجل جعل كل نوع مستقلا عن الآخر ، لكن علماء التكنولوجيا حاولوا خلط الأنواع ببعضها البعض الإنسان بالحيوان ، والحيوان بالنبات ، و الإنسان بالنبات ، فتكون عملية الخليط بين الأنواع المختلفة والأنواع المتشابهة . ومن صور الأنواع المختلفة للخلط الوراثي ما حدث في جامعة نيويورك عام 1976م حيث " تمكن العلماء من دمج حيوان منوي للإنسان مع بويضة من أنثى فأر وقد فشلت المحاولة "². ففي هذه العملية خلط وراثي و خلط للأنواع وتغيير لخلق الله ومجازفة علمية فيها خرق للقيم والأخلاق و انتهاك لقوانين الحياة و للكرامة الإنسانية .

(2) النقاش الأخلاقي الناتج عن مشكلة الموت الرحيم :

يرفض بعض الباحثين مصطلح الموت الرحيم السلبي إذ يعتبرون حرمان المريض من العلاج في حالة ميؤوس منها ما هو إلا رفض لكل محاولات علاجية دون فائدة و اتخاذ قرار عدم معالجة مريض في آخر مراحل حياته ، يعد في الحقيقة تسريع لموت هذا المريض ، ومن المعقول أن مثل هذا الفعل الأخلاقي الذي يقوم به الطبيب يكون له نتائج مزدوجة ، فهو من جهة مقبول أخلاقيا بما أن الغاية في ذلك تكمن في تخفيف آلام المريض ، أما من جهة أخرى غير لائق أخلاقيا .

"وهذا ما تتبناه النظرية التي تدعي ذات الأثر المزدوج والتي تعمل بها الكنيسة الكاثوليكية منذ القرون الأولى لظهور المسيحية ، ذلك لأن الموت الرحيم يستوجب تدخل الطبيب لوضع حد للحياة غير أن حياة الإنسان لها قداسة ويعتبر المساس بها تدنيس للكرامة الإنسانية لذلك ترفض الكنيسة الكاثوليكية هذه العملية انطلاقا من تحريم الإنجيل المساس بالحياة البشرية "³.

هذا ما دافع عنه إيمانويل كانط باعتبار الإنسان غاية في حد ذاته وهذا المبدأ الذي يظهر من خلال تأسيسه لقواعد الأخلاقية وقفت في وجه العلم وجعلته يعيد النظر في نتائجه و أهدافه لأنه تأسيس لكرامة الإنسانية وجعل من غاية الإرادة الإنسانية احترام الموجود العاقل وإلغاء كل ما يتعلق بالمصالح والمنافع (استغلال الفرد) وهذا ما يوجب العمل بالقاعدة الثانية " إذا أردت أن تعمل فلتكن قاعدتك اتخاذ الإنسانية في شخصك وفي أشخاص آخرين غاية لا واسطة "⁴.

¹ سوزان عماد الدبابسة ، الاستنساخ والضوابط الأخلاقية دراسة تحليلية ، المرجع السابق ، ص223.

² عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص64.

³ شقعار لميس ، الجدل الأخلاقي لمشكلة موت الرحيم ، سلسلة الأنوار ، المجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر ،

2021 ، ص 227.

⁴ المرجع نفسه، ص230.

ومعنى ذلك أن الموجود أي أن للإنسان العاقل كرامة ذاتية توجب أن يعد غاية في ذاته لا وسيلة وكرامته من حيث هو إنسان مقدمة عن كل شيء .

إضافة إلى ذلك ينبغي أن نحترم حقوق المريض و لا يجب أن نتعدى عليها أو نقوم بانتهاكها وهذا ما ذهب إليها "هانس بوناس " عندما فرق بين الانتحار وعدم القدرة على مقاومة الموت أي ترك المريض يموت (الموت الرحيم) ومن الواجب أن يكون حقا لا يجوز التصرف فيه إطلاقا مثله مثل الحق في الحياة لذلك لا يوجد قانون يعارض حق المريض في اختيار الحل الأنسب لموته ، سواء مات المريض أو عاش ، فهذا يبقى ضمن إرادته الشخصية و اختياره الحر دون تدخل طرف آخر في ذلك .

وهذا حسب قول " بوناس " بأنه من لا عدل أن يعاقب المريض أسير عجزه الجسدي بأن يحرم من حقوقه كما يقر بأن للمريض الحق في حرية الاختيار ومن الواجب الأخلاقي أن نحترم استقلالية المريض ¹ .

وقد اعتبر بوناس أن إيقاف جهاز قناع التنفس عن المريض الميؤوس من شفائه قتل عمدي وفعل غير أخلاقي ويجب معاقبة الطبيب حتى لا يعيد الفعل مرة أخرى لأن من مهامه معالجة المريض وهذا ما أكدته " بوناس " في قوله " القتل العمدي ليس من مهام الطبيب لأن دوره هو معالجته ومساعدته على تخفيف ألأمه " ² .

ومن هنا نجد أن هانز بوناس متشبث على فكرة ضرورة احترام الكرامة الإنسانية وجعلها فوق كل اعتبار وهذا ما صرح به في قوله " مادامت أن الكرامة الإنسانية تعني العيش بشرف و حياة جيدة تخلو من الألم والمعاناة والشقاء والبؤس ، فلا خير في أمل يخلق لنا الألم ، فحقي في حياة كريمة يماثل حقي في موت الرحيم بدون ألم " ³ . والمقصود من قول "بوناس" أن كرامة الإنسان المريض لا تقتصر في البقاء على قيد الحياة ، بل في كيفية عيشه في هذه الحياة ، فإذا كانت حياته مليئة بالمعاناة والألم فلا معنى و لا طعم في هذه الحياة وهنا تظهر الحاجة إلى الحق في الموت الرحيم لا بوصفه هروبا من الحياة بل احتراما لرغبة المريض في مغادرة هذه الحياة بكل كرامة وشرف ويصبح هذا خياره الأنسب.

وفي نفس السياق دعى " فرانسيس فوكوياما " للحفاظ على الكرامة الإنسانية منذ بداية تكونه في رحم أمه فالإنسان في نظره كائن ذو كرامة مقدسة لا يمكن لأي أحد إلحاق الضرر به أو المساس بها . فالكرامة بالنسبة إليه تكمن في الموت والحياة فيسعي الإنسان لضمان حياة آمنة ومستقرة لكن أيضا أن

¹ قرفي فضيلة ، الأبعاد الأخلاقية لموت الرحيم ، سلسلة الأنوار ، مجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 ، الجزائر 2021 ص 251.

² شقغار لميس ، الجدل الأخلاقي لمشكلة موت الرحيم ، المرجع السابق ، ص 231.

³ قرفي فضيلة ، المرجع السابق ، ص 258.

يضمن لنفسه نهاية حياة هادئة مطمئنة وكريمة .

إن محاولة تبرير الموت الرحيم بأنه احترام لكرامة المريض أمر متناقض لأنه لا يمكن تقبل أو تصديق أن الطبيب يمارس الموت الرحيم فقط لأن المريض يطلب منه ذلك ، إن استجابة لهذه الرغبة دليل على استهانة بحياة المريض وهذا يتعارض مع مبدأ العدالة الذي يقتضي منا أن نتعامل مع الناس جميعا بنفس الطريقة¹.

ونعني بذلك إننا لما نقبل ونستجيب لرغبة المريض بإنهاء حياته بدافع التخفيف عن ألامه قد تعد من منظور أخلاقي إخلال بمبدأ احترام الحياة الإنسانية وهو تصريح ضمني بأن حياته لم تعد تستحق أن تحفظ، وهذا يتعارض مع مبدأ العدالة الذي يفترض معاملة جميع الأفراد بنفس المعاملة دون تمييز أو تفرق بين الأشخاص خصوصا في ما يتعلق بالحق في الحياة ، الذي يعد من الحقوق الأساسية التي لا يمكن المساس بها تحت أي ظرف . و بالتالي فإن الرضوخ لرغبة المريض لا يعد موقفا أخلاقيا بل يعتبر تهديم للعدالة التي تقتضي احترام الكرامة الإنسانية في جميع الحالات ودون استثناء أو تفرق إضافة إلى ذلك أن المطالبة بالموت الرحيم غالبا ما يؤكد أن ما يحتاجه المريض هو أن يتعاطف معه لا أن نقتله ، والذي يجعل المريض يعتقد أنه لم يبق له من مسلك سوى الموت ، وغياب التعاطف الإنساني سواء من جبهة محيطه العائلي، أو من جهة المصالح الصحية التي أصبحت منحصرة في المظاهر التقنية ، ولهذا يلزم أن نقيم الطلب .

(3) رؤية أخلاقية لتحسين النسل

باعتبار أن تحسين النسل "هو مجموعة الأفكار و الأنشطة التي تهدف إلى تحسين نوعية الجنس الإنسان عن طريق معالجة وراثته البيولوجية " فهو يؤدي إلى تفادي الكثير من الأمراض الوراثية والآلام العديدة، وذلك من اكتشافها المبكر لتلك الأمراض التي تمكننا من إنجاب أطفال معافين وأصحاء . ولكن ما يخفيه تحسين النسل دفع الكثير من الفلاسفة المعاصرين إلى محاولة مناقشتها أخلاقيا . ويعتبر " يورغن هابرماس " من أوائل الذين ناقشوا هذا الموضوع ويتجلى موقفه في ما يعرف عنده بالأخلاق التواصلية وأهم ما أكدته في هذا المجال خاصة في كتابه " مستقبل الطبيعة البشرية ، نحو رسالة ليبرالية " .

يرى أن التعديل الجيني يفقد الإنسان حريته وذلك برسم مستقبله دون الأخذ في الحسابان الحق في اختياره وحريته في ذلك ، فمن ذا الذي يتقبل أن تكون حياته مسطرة جينيا ، وهذا ما أدى بها هابرماس إلى محاربة التعديل الجيني بسبب العديد من التداعيات والأسباب الأخلاقية و الإنسانية ، و حتى القانونية².

¹شعاع لميس ، الجدال الأخلاقي لمشكلة موت الرحيم ، المرجع السابق ، ص231 .

²سالمي قدور ، تحسين النسل من الحرية الانتقائية إلى الحرية الانقياء ، مجلة الفكر، العدد الأول ، جامعة الجليلي بونعامة ، مخبر التربية و الاستمولوجية ، خميس مليانة ، 2021 ، ص170.

إن المعارضين لتحسين النسل يرون أن محاولة تلافي ولادة الأطفال المصابين بالأمراض والعيات لا تطرح مشكلا أخلاقيا في حد ذاتها، بل تطرحه حين تصبح وسيلة للوصول إلى ذلك هي التخلص من الأجنة أو الأطفال الذين يحملون عيوباً أو أمراضاً ، بواسطة الإجهاض الذي غالباً ما يكون هو المخرج حين يتم اكتشاف عيب أو تشوه عند الحمل بواسطة تشخيص المبكر . وهكذا ينقلب الطب ضد من كان عليه أن يعالجه أو أن يخفف على الأقل من مرضه فيصبح في هذه الحالة أسوأ من المرض ، ولن يكون مستساغاً إلا في إطار مسلمة فلسفية قديمة تؤكد أنه " من الأفضل ألا يعيش الإنسان بالمرّة على أنه يعيش بمرض خطير " ¹.

ويقصد بذلك أن الذين يعيشون المعاناة الشديدة كالمرض الخطير أو الألام الدائمة تجعل الحياة لديهم غير محتملة لذلك فالموت أرحم وأفضل لديهم من حياة مليئة بالألم والشقاء ،ومن هنا نتساءل من نكون نحن حتى نقرر مكان غيرنا بأن حياته تستحق أو لا تستحق أن تعاش . بالإضافة إلى " أن التدخل في الجينات البشرية النسالي سوف يقتضي لا محالة إلى صناعة وابتداع إنسان على غير طبيعته مهجن ومشوه عما يعود بالسلب على حقيقته الإنسانية و ليس البيولوجية فقط " ². ويقصد بذلك أن التدخل في الجينات لا يقتصر في تبعاته على تغيير الخصائص البيولوجية للفرد ، بل يتجاوز ذلك إلى المساس بجوهر وحقيقة الإنسان وتمس كرامته ، فحين يصمم الإنسان مسبقاً وفق معايير تقنية يصبح كائناً مصنوعاً لا ناتجاً طبيعياً لمسار الحياة مما يؤدي إلى تشويه للهوية الإنسانية ومن هنا يصبح التعديل الوراثي لا يكمن فقط في مخاطره العلمية والطبية ، بل أيضاً في ما يثيره من إشكاليات فلسفية وأخلاقية تتعلق بالحرية والمساواة والمسؤولية .

فالربط بين الحرية الفردية التي تتيح الانتقاء وبين مجال تحسين النسل الجيني لا بد له من منظور هابرماس من ضوابط أخلاقية بيواتيقية ، لأن جل أهداف اليوجينا صرّفت عن الجانب الإتيقي مثل التصفية الجماعية أو التنقية النسلية وهذا في حد ذاته تعبير عن تحذير دائم من طرف هابرماس من هيمنة الدولة الليبرالية في التلاعب بالجينات من أجل تكييف حياتهم بشكل مستقل و هذا ما أوضحه في قوله " ميكانيزمات السوق تتأسس وفق المبادئ التي تحدد العناصر الأساسية للقانون المدني (التعاقد والملكية) ، هذا التأسيس المشرعن موجه لكي يضمن للفاعلين داخل السوق بأن يقوموا بأفعالهم وفق الأنموذج الإستراتيجي بما أنهم في الواقع أحرار في ممارسة أفعالهم وفق التفاهات التي يصلون إليها ، وهم فوق هذا وذاك يخططون ويفكرون وفق معايير الربح والخسارة " ³.

ويعني هذا أن تحسين النسل إذا خضع لمنطق السوق الذي يعمل وفق منطق الربح والخسارة فسيتحول الإنسان إلى شيء يخطط له وينتج حسب المصلحة ،مثل أي سلعة مثل اختيار صفات الأطفال جينيا

¹ عمر بوفتاس ، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، المرجع السابق ، ص 358.

² سامي قدور ، تحسين النسل من الحرية الانتقائية إلى الحرية الإتيقية ، المرجع السابق ، ص 170.

³ تقاضي فتحة ، إتيقا الطب المعاصر ، المرجع السابق ، ص 154 .

(الطول ، الذكاء ، الصحة) فستصبح هذه القرارات تبني على أساس المنفعة ، لا على أساس القبول غير المشروط بالطفل ككائن حر ولهذا لا بد من وضع ضوابط أخلاقية تمنع استخدام التكنولوجيا الحيوية بطريقة تمس بإنسانية الإنسان . وهنا يحذر هابرماس من أن تصبح علاقتنا بالبشر علاقة تصميم وتحكم لا علاقة احترام وتقدير ، وهذا يهدد فكرة المساواة والكرامة والحرية التي تقوم عليها الأخلاق والحقوق .

وأما جوشيا ويد جود العضو البرلماني يمقت تحسين النسل مقننا شديدا فشن هجومه على جمعية تحسين النسل لأنها في نظره تحاول " استيلاء الطبقة العاملة وكأن أفرادها من الماشية " ¹.
ونعني بها أنه لا وجود لاحترام الحريات الفردية التي هي حق من حقوق الإنسان .
فثار على القوانين وتسلطها في أخذ الأطفال من بيوتهم بالقوة سواء كانوا من ضعاف العقول أو المرضى فأدت إلى ضغط على الأسر ، فالكثير من الوالدين وقعوا تحت ضغوط من كل أنواع لتعديل جيناتهم وكيفية إنجابهم أو عدمهم ، وهذه الضغوط سواء كانت من الأطباء أو شركات التأمين الصحي ... وكل له أهدافه من ذلك ويعني هذا إن استعمال الإنسان حقلا للتجارب البيولوجية والطبية والتحكم في جيناته من أجل تحقيق أهداف وغايات شخصية مادية أو سياسية ... تؤدي لا محالة إلى فقدان الإنسان لحيته التي لا يمكن الاستغناء عنها ، فتدخل الأطباء في تغيير التركيبة الوراثية للإنسان وتحويله إلى كائن له صفات خاصة يحدونها سواء كانوا علماء أو أطباء ما هو إلا تدخل واضح في حرية الإنسان و استقلاليتته وهذا حتى قبل ولادته وكلها سمات تشكل مبادئ جوهرية من تكوينه الإنساني ². ونقصد بذلك فإذا فقد الإنسان حريته فقد بموجبها إنسانيته وبالتالي تناولنا علي قدسيته وهو مبدأ يخالف قدسية الإنسان بأبعادها المعنوية والأخلاقية وليست بيولوجية فقط .

¹ سامي قدور ، موسى فتاحين، تحسين النسل من الحرية الانتقائية إلى الحرية الإتيقية ، المرجع السابق ، ص172 ،

² المرجع نفسه، ص173.

المبحث الثاني

البعد الديني للممارسات البيوطبية

المبحث الثاني: البعد الديني للممارسات بيوطبية

مدخل:

إن من أهم العوائق التي تقف أمام العالم - في نظرنا - مهما كان الميدان الذي يبحث فيه، نجد طبيعة الموضوع ثم تعنت رجال الدين . أما ما يخص طبيعة الموضوع فيكفي أن نستحضر في أذهاننا تلك المعاناة التي يمر بها العلماء للوصول إلى نظرية ما أو قانون ما والمدة التي يستغرقها لميلاد تلك النظرية أو ذلك القانون ، أما في ما يتعلق برجال الدين ، فلنفرض أنه اختار الخطوة الأولى وهب بزوغ أو ميلاد تلك النظرية فلا يلبث حتى تقع نظريته في قبضة علماء الدين فيصبح عمله الذي استغرق فيه سنوات عدة من المكابدة والعناء والمعاناة ذهبت هباء منثورا لأنه يتعارض مع عقيدتهم وهذا ما حدث لغاليلي الذي اضطر تحت تأثير الكنيسة لأن ينكر فكرة دوران الأرض¹. وانتهى به المطاف إلى البوح بمقولته المشهورة الأرض لا تدور رغم أنها تدور "

ثم إن الرفض لو جاء عن قناعة أو من تفوق من إثارة مشكلات أخلاقية كما هو الحال في الإستنساخ أو الموت الرحيم ولكن أن يأتي الموقف من أجل حسابات للحفاظ على مكاسب وهذا ما لا يمكن أن يقبله العقل ولا المنطق لذلك كل التطورات الطبية بمختلف موضوعاتها لابد أن تخضع للجانب الديني للإستنساخ والموت الرحيم و تحسين النسل .

الإستنساخ :

مع ولادة النعجة " دوللي " وبعد أن أخذت خلية من ضرع نعجة بالغة وتم تركها في المعمل لمدة ستة أيام ، ثم جئ بببيضة غير مخصبة من نعجة أخرى، وتم نزع نواتها بما تحويه من مادة وراثية ، وتم وضع نواة الخلية المأخوذة من ضرع النعجة الأولى بدلا منها . وفي وجود شرارة كهربائية ثم التحام هذه النواة في بيضة النعجة الثانية الخالية من النواة ، ثم تم زرع الجيني الذي نتج عن هذا الالتحام في نعجة ثالثة ، وبعد انتهاء مدة الحمل ،أنجبت النعجة " دوللي "². وباستخدام هذه التقنية صارت النعجة الدوللي أشهر نعجة في التاريخ . ومنذ وقوع ذلك الحدث ، حدث صراع و جدال ونزاع بين كل من رجال الدين والسياسة وغيرهم فأصبح هذا الموضوع موضع نقاش علماء الدين وهذا ما سنتحدث عنه و عن الكرامة الإنسانية والهوية ...إلخ.

¹ كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق ، ص89.

² مجلة البحث الإسلامي ، الإستنساخ من منظور إسلامي ، مؤسسة الصحافة و النشر ، الحلقة الأولى ، الفقه الإسلامي 2023.

أ- موقف الديانة اليهودية :

يتميز موقف هذه الديانة مقارنة بالمواقف الأخرى التي نجدها في الديانتين المسيحية والإسلامية بترحيبها للاستنساخ الإنجابي من قبل البعض ، شريطة أن تكون الحاجة إليه ماسة كأن يعاني الزوجين من مشكلة العقم مثلا . كما عبر الحاخام إيليويت عن رأيه حول الموضوع قائلا :
 "إن الاستنساخ البشري بحاجة إلي تعديل وليس إلي حظر"¹ . كما قال أيضا : " علي كل من يريد أن ينجب طفلا أن يتخلص من ذاته ، فإذا أمكن أن يأتي الطفل من خلال الاستنساخ فقدنا الاستسلام للنفس وواجهنا خطر تقديس الذات " .

أما الحاخام مارك حليمان ، فقد لخص موقف الديانة اليهودية من الاستنساخ في البشر قائلا : " أن هناك إدراكا قويا وحقيقيا ، بأننا لم نخلق أنفسنا ، هذه القضية (الاستنساخ) تقوض هذه العقيدة الأساسية بشكل قوي ومقلق للغاية ، لكن هناك حاخامات درسوا الاستنساخ البشري ، حيث قال الحاخام الكبير منير لدو : " إن الاستنساخ البشري ينافي الشريعة اليهودية "
 أما الاستنساخ العلاجي " فيعتبر جائزا ، ويمكن تلخيص ذلك في رغبتهم الشديدة في الاستعانة بتقنيات الهندسة الوراثية من أجل إيجاد العلاقات اللازمة للأغراض مختلفة ، لكن ليس على حساب كرامة الإنسان ولا يجوز لأي كان تخطي هذا الإطار للعبث بالأرحام "² . ومن هنا يمكن القول أن الاستنساخ بشكل عام لا يرفض مبدئيا خصوصا إذا تعلق الاستنساخ بحفظ الحياة أو علاج الأمراض ومع ذلك تتحفظ الشريعة اليهودية بسبب المخاطر التقنية و الأسئلة الأخلاقية حول هوية المستنسخ أما الاستنساخ العلاجي يحظى بالقبول أوسع مقارنة بالاستنساخ التناسلي .

¹ عدنان عباس موسى ، مسؤولية أخلاقية للمجتمع الدولي حول الاستنساخ ، مجلة العلوم الساسية ، العدد 43 ، بغداد ، ص 83 .

² المرجع نفسه ، ص 84 .

ت- الديانة المسيحية

يكن موقف الديانة المسيحية في حرصها على ضرورة الاعتناء " بالشخصية و الكرامة الإنسانية أولاً وقبل كل شيء ، هذا من جهة ومن جهة أخرى، في دعوتها للإنسان إلى الكف عن لعب دور الإله الخالق مع تشديدها على عدم تعديه على إرادة الله معتبرا بأن عملية إستنساخ الإنسان خرق وتعدي لإرادة الله وتدخل في النظام الطبيعي للإنسان"¹ . ونفهم من هذا أن عملية الإستنساخ البشري تعتبر تعدياً خطيراً على الإرادة الإلهية وتدخل غير مشروع في عملية الخلق التي هي من شأن الله و ليس من اختصاص البشر ، فالإستنساخ يعد خرقاً لنظام الطبيعة الذي سنه الله لتنظيم الحياة البشرية و المبني على التزاوج الطبيعي ، و التدخل الصناعي في هذا النظام يعد تجاوزاً للحدود التي ينبغي أن يقف عندها الإنسان مهما بلغت قدرته العلمية .

ضف إلى ذلك فكرة رغبة الإنسان في الخلود ، بمعنى أن الإنسان بمقدوره التغلب علي الموت باللجوء إلي استنساخات متتالية لنفسه ولمدة طويلة ، من الزمن يقول (المطران) ممثل الكنيسة الكاثوليكية " الإستنساخ هو وسيلة جديدة لتحقيق الحلم الذي يرواد الإنسان في كل مرحلة من حياته ، أعني به الخلود والسيطرة علي الموت بشتى الوسائل ، أليست هذه المحاولة هي اغتيال جديد لله وتنصيب مطلق للإنسان_الإله_ كما حصل في القرن الثامن عشر مع تنصيب العقل ،وفي القرن التاسع عشر مع تنصيب العلم مكان الله "² . و يدل هذا على أن الإستنساخ لا يعتبر تطور علمي فقط بل تجاوز ذلك لكشف عن رغبة الإنسان في تجاوز الموت و تحقيق الخلود المصطنع و هذه الرغبة هي امتداد لمسار طويل من تنصيب الإنسان مرجعاً أعلى و هذا يطرح تساؤل حول مكانة الإنسان و كرامته و المعنى الحقيقي لوجوده .

كما أعلن البابا يوحنا بوليس الثاني بابا الفاتيكان رفضه لعملية الإستنساخ باعتباره الجماع بين الرجل وزوجته هو الطريق الوحيد للإنجاب ، وفي بوخارست أعلنت الكنيسة الأرثوذكسية في رومانيا معارضتها للاستنساخ البشري وأكدت أنه يتعارض مع مبادئ الخلق الإلهي ، وعلق الإنبا يوحنا قلته " النائب البطريركي الكاثوليكي على هذا بأن الكاثوليكية ترفض بشدة استنساخ البشر و يعتبره عبثاً علمياً ومصدر الإلحاد ، ورفض للقيم الإلهية ،وكما سقط الإلحاد كنظرية في نهاية هذا القرن سيسقط الإلحاد الأخلاقي عندما يكشف البشر قصة المأساة في موضوع الإستنساخ"³ . ومن هنا يتبين أن الإستنساخ في الديانة المسيحية يعتبر تعدياً على إرادة الله وخروجاً عن النظام الطبيعي للخلق ،فالإنسان خلق علي صورة الله ولذلك يجب احترام كرامته وعدم تحويله إلي مجرد منتج صناعي .

¹ كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للإستنساخ ، المرجع السابق ، ص 91 .

² المرجع نفسه، ص 91 .

³ عدنان عباس موسى ، مسؤولية أخلاقية للمجتمع الدولي حول الاستنساخ ، المرجع السابق ، ص 83 .

ج) الاستنساخ في ضوء الديانة الإسلامية :

تأخر العلماء المسلمون المعاصرون في اتخاذ موقف إزاء الاستنساخ خصوصا إذا ما قارنهم بعلماء الديانات الأخرى الذين ناقشوا أهم القضايا التي يطرحها بعد فترة قصيرة فقط من انبثاق هذه التقنيات في البيولوجيا .

لكن عندما حكم فهم العلماء _ المسلمون _ هذه التقنية الجديدة المتمثلة في الاستنساخ اكتشفوا بأن نتائجها منذ اللحظة الأولى تؤدي إلي طرح مشاكل أخلاقية بالدرجة الأولى فعمدوا إلي حظره ، وهو الشيء الذي دفع بالبعض إلى اعتبار أن هذا الموقف من المسلمين لم يتغير منذ عقود وقرون إزاء كل ما هو جديد ، حتى وجدنا في بعض المقالات علي الشبكة العنكبوتية عبارات تتهم المسلمين بالجهل والتحجر فقط لأنهم رفضوا الاستنساخ ¹ .

إن الاستنساخ إذا ما اقتصر تطبيقه على غير المجال البشري لا خطر فيه ، ولا يمس المقاصد الشريعة الخمس (حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل ، وحفظ العرض ، وحفظ المال) لأن في تطبيق الاستنساخ على البشر مساس بكرامة الإنسان الذي جعله الله خليفته في الأرض ، كما أنه يجعل الإنسان كحيوانات التجارب ، ويؤدي إلي اختلاط الأنساب التي أمر الله بصونها ، وعلى الرغم من أن له بعض الفوائد والتي لم يثبت تحقيق منافع أغلبها ، كفهم طريقة عمل الجينات وكيفية تطويرها ، وفهم أدق الأمراض الوراثية ، واستنساخ بعض الأعضاء البشرية ... إلخ وغيرها من الفوائد المرجوة من هذه التقنية ، فإنه يحرم العمل به طبقا للقاعدة الفقهية " درء المفاسد مقدم على جلب المصالح " ² . وكذلك القاعدة الفقهية " سد الذرائع " وهذا يعني أنه إذا كان العمل سيتخذ للوصول به إلى مفسدة فإن الحكم الشرعي له هو التحريم ، لأن ما يؤدي إلي المباح فهو مباح ، وما يؤدي الحرام فهو حرام ، وهذا ما ينطبق على عملية الاستنساخ بحسب منفعه ومضاره .

¹ كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ ، المرجع السابق ، ص 91 .

² عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، المرجع السابق ، ص 59 .

وقد أصدر الفقهاء فتاوى حول الاستنساخ البشري بنوعيه الإنجابي و العلاجي ويتمثل ذلك كالتالي :

أولا الاستنساخ الإنجابي: صدر عن مجلس الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره العاشرة بجدة خلال الفترة من 23_28 صفر 1418 هـ ، الموافق ل 23 يوليو 1997م بعد إطلاعه علي البحوث المقدمة في موضوع الاستنساخ البشري ، والدراسات والبحوث و التوصيات الصادرة عن الندوة الفقهية الطبية التاسعة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع المجمع وجهات أخرى في الدار البيضاء بالمملكة المغربية من 9- 12 صفر 1418هـ الموافق ل 17 يوليو وبعد استماعه للمناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة الفقهاء والأطباء قرر تحريم كل أشكال الاستنساخ البشري ، حيث جاء فيه :

أ: تحريم الإستنساخ بطريقتيه المذكورتين(العلاجي و الإنجابي)،أو بأية طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر

ب: إذا حصل تجاوز للحكم الشرعي،فإن أثار تلك الحالات تعرض لبيان أحكامه الشرعية .

ج: تحريم كل الحالات التي يقتحم فيها طرف ثالث على العلاقات الزوجية سواء كانت رحما أو بويضة أو حيوانا منويا ، أو خلية جسدية للإنسان¹.

وقد جاءت أغلب آراء مفكري الإسلام لتعبر عن نفس الموقف حرمة الاستنساخ (الجسدي) بسبب ما يثيره من مشاكل أخلاقية كاختلاط الأنساب يقول في هذا المضمون الشيخ زياد أحمد سلامة بالكلية العلمية الإسلامية الأردن " و الإستنساخ الجسدي حرام إذا تدخل في العملية طرف أجنبي عن نطاق الحياة الزوجية المشروعة "². ونعني بذلك أن الإستنساخ الجسدي أو الكلي الذي ينتج إنسانا كاملا فهو حرام بإجماع الفقهاء والبيولوجيين أما الجزئي العلاجي ، وهو ما يعرف باستنساخ الأعضاء والأنسجة لاستعمالها في علاج كثير من الأمراض الوراثية ، فهو مشروع إذا كانت منافعه أكثر من مضاره ، ولا يؤدي إلي تغيير التركيبة أو الصفات الفطرية للإنسان ، و أن نكون مصادره غير محرمة أي مباحة. قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف: بعد ساعات قليلة من الإعلان الرسمي عن ولادة "أيف ، حواء" أعلن مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف أن استنساخ الإنسان حرام ، ويجب التصدي له ومنعه بكل الوسائل ، وأنه يعرض الإنسان الذي كرمه الله لأن يكون مجالا للعبث والتجربة وإيجاد أشكال مشوهة وممسوخة ، وأن القاعدة الفقهية في الإسلام هي أن درء المفسد مقدم علي جلب المصالح ، كما أنه يجب التفريق بين الهندسة الوراثية في النبات والحيوان لإنتاج سلالات قيمة ونافعة. وفي علاج الأمراض الوراثية و الارتقاء بالطب ومعالجة الإنسان³.

¹ علي محي الدين الفردعي ، على يوسف المحمدي ، فقه قضايا العلمية المعاصر ، بيروت ، 1983،ص411.

² المرجع نفسه، ص 411 .

³ كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للإستنساخ ، المرجع السابق ، ص91.

وقد أوصي المجمع علي تطبيق حد علي من يطبقون تقنيات الاستنساخ البشر كما شددت علي الفتوى علي أن الإسلام لا يعارض العلم النافع ، بل يشجعه ويحث عليه ، أما العلم الضار الذي يغلب ضرره علي نفعه ، فإن الإسلام يحرمه ليحمي البشر من أضراره ، ومن هنا نستخلص أن الموقف الشرعي من هذه التقنية يتوقف علي مدى المصالح المرجوة والمحقة منها والمقاصد الناتجة عنها لذلك كان موقف الهيئات الدينية هو التحريم لكل ما يعبث بمصالح البشرية ويهين كرامتها بالتعدي علي حقوقها وخصوصيتها .

(2) أحكام القتل الرحيم في الديانات السماوية :

باعتبار الموت الرحيم إنهاء حياة الإنسان أو مساعدته علي الانتحار ، فإن الأديان كلها تحرم ذلك تحريماً مطلقاً ويعتبر جريمة قتل ، لان الله وحده هو الذي يحي ويميت وهذا ما سنشير إليه في موقف الديانات الثلاثة :

أ- الديانة اليهودية :

تري الديانة اليهودية أنه لا يحق تأخير أو استعجال مغادرة الروح للجسد ، بحيث يرى الدكتور نعم زوهار من جامعة بارايلان في تل أبيب : " إن قتل الإنسان هو قتل لصورة الله فيه علي حد تعبيره " ومن هذا المبدأ أوضح أن الدين اليهودي يبدو متشدداً حيال هذه الفكرة لكنه لفت إلي وجود بعض التغيرات التي أجازت القتل الرحيم ، كما ورد في نص التوراة الذي قال : " إن الانتحار محرم إلا في حالة الملك "سول" الذي أصيب بجروح بالغة فطلب من حامل سلاحه قتله فرفض ، فما كان إلا أن سقط علي سيفه و مات "1. ويعتقد زوهار أن هذا الاستثناء المرتبط بحادثة الملك "سول" ربما يشير إلى وجود استثناء يهودي في قضية القتل الرحيم ، في حالة كان المريض يعاني من مرض لا شفاء منه.

عدي حولي ، كيف تنتظر الأديان السماوية إلى قتل الرحيم¹ www.aldiazeera.com

ب- الديانة المسيحية :

لا يوجد إجماع بين الطوائف المسيحية ضد القتل الرحيم ، حتى عندما يكون هناك اتفاق ، هناك اختلافات من المنظور اللاهوتي ، فجد الكنيسة الكاثوليكية تري أن رفض القتل الرحيم هو عمل متواضع من الخضوع لإرادة الله ، ويحدد مجمع منشوري للكنيسة اللوثرية إثني عشرة مبدءا تحدد أشكال المختلفة للقتل الرحيم لأنها تتحدى النظرة الشعبية القائلة بأن التصرف الأكثر رحمة هو إنهاء حياة الشخص الضعيف والعاجز ، يلفت هذا التقليد الانتباه إلي الحاجة المضافة لإظهار التعاطف مع تقديم الرعاية في حالات الإعاقة طويلة الأمد أو الرعاية النهائية ،تماما كما تأخذ القتل الرحيم أشكالا متعددة ، كذلك تفعل أخلاق نهاية الحياة عبر الطوائف المسيحية ، كنفذ كنيسة المسيح المتحدة الرؤية بديلة للكرامة فيما يتعلق بالقتل الرحيم هنا ،تكمّن كرامة الفرد في نوعية الحياة ذلك الشخص ، وليس للموت ، تاركة مجموعة أكثر من خيارات القتل الرحيم مقبولة أخلاقيا¹.

ث- الديانة الإسلامية :

لم يظهر لدى المسلمين في تاريخهم هذا النوع من القتل الذي يدعو رحيمًا ولم يكن شائعًا فيما بينهم بل إن هذا الموت خروج عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، لأن تعاليم الإسلام تعتبر النفس الإنسانية أمانة عند صاحبها وليست ملكا له ، وإنما هي ملك لله سبحانه وتعالى ،وبالتالي علي الإنسان المحافظة علي هذه الأمانة التي أعطاها الله إياها ، يحفظها ويتكفل بها لأنه بحفظ النفس ليتمكن الإنسان من أداء الأمانة التي خلقه الله من أجلها وهي خلافة في الأرض . فالإسلام يحرم على الأطباء تيسير الموت بقصد إنهاء عذاب المريض ، فإن فعل الطبيب هذا أو أمر به فإنه يعد في نظر الشرع قاتلا متعمدا . فالقتل الرحيم أو الموت الرحيم أو قتل الشفقة هو " أن يعمل الطبيب إلي إنهاء حياة المريض الميؤوس من شفائه كالمصاب بمرض السرطان أو نقص المناعة ، إذا زاد الألم علي المريض ، وذلك رغبة في إنهاء عذابه ، إما بإعطائه دواء ينهي حياته ، أو ينزع جهاز لا يعيش بدونه ، كأجهزة التنفس والإنعاش ، أو بإيقاف علاج لا يعيش بدونه "2. ونعني بذلك أن الموت الرحيم هو إنهاء حياة شخص مريض ميؤوس من شفائه بطريقة تخفف من آلامه ومعاناته فيري بعض الأطباء أن الدافع لهذا الفعل ، دافع إنساني القصد منه إنهاء عذاب المريض ومعاناته ، وربما معاناة أهله وذويه أيضا ، وهذا الفعل محرم في الشرع مهما كانت الدوافع ومتى تعمد الطبيب أو غيره إنهاء حياة مريض ولو لسبب إنساني ، فإنه قاتل وذلك لقوله تعالى : " لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق " الإسراء الآية 33.

¹ عبد العزيز أحمد محمود يوسف ، جدلية الحياة و الموت كرامة نقدية لمفهومي موت الرحيم و الانتحار ، كلية الأدب ، جامعة الإسكندرية ، العدد 49 ، ص128.

² عتيقة بلجيل ، قتل الرحيم بين الإباحة و التحريم ، المرجع السابق ، ص263.

و بالتالي فإن حكم الموت الرحيم بكافة أنواعه حرام ومحرم من الناحية الشرعية ، والطبيب الذي يقدم علي هذا الفعل سواء بإذن المريض أو بغير إذنه هو قاتل نفس ، والقتل محرم في الإسلام ، والمريض الذي يأذن به هو في حكم المنتحر ، فالمؤمن يصبر علي البلاء وعلى المرض وهو واجب عليه ، ويجب على مقدمي الرعاية الصحية أن يفعلوا كل ما هو ممكن لمنع الموت المبكر ، وهذا ما جاء في النص القرآني " من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا " المائدة الآية 32 إضافة إلي ذلك أوصانا النبي عليه الصلاة والسلام بالصبر وهذا ما جاء في حديث النبي " ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها " ¹.

ومن هنا يتبين أن الديانات السماوية الثلاثة أجمعت على حرمة القتل الرحيم واعتبرته جريمة قتل إنسان بغير حق .

3- تحسين النسل :

إن النظرة الدينية للإسلام ترى أنه من الخير للإنسان أن يأتي مولوده وفقا لمشئئة الله لا وفق برنامج خاص في الحالات العادية البعيدة عن تلك الأمراض الوراثية التي يمكن أن يصاب بها الجنين . لقد وجد الإنسان نفسه تحول إلى مجرد مجموعة من الرموز الوراثية التي تم معرفة تكوينها الوراثي ومن ثم التحكم فيها. هذا ما يعني أن قدسية حياة الإنسان وحيثيته أصبحت عرضة للانتهاك حتى سيطر عليه القلق والرعب خاصة عندما حاول بعض العلماء تخليق الإنسان بالمقاييس علي حد زعمهم ، وبالتالي جعلنا ننقل التصورات من الاعتراضات الفلسفية إلي التحريم الديني فالإسلام قد حرم المساس بحياة الناس عموما إلا أنه اتفق مع معطيات علم تحسين النسل الوراثي في الكثير من الجوانب ، فقد نادى مثلا بزواج الأبعد لأن الزواج بالأقارب يؤدي إلى إقلال درجة التناسل والتي تؤدي إلى حد العقم ، كما يؤدي إلى إضعاف السلالة وزيادة احتمال الإصابة بالكثير من الأمراض الوراثية مثل أمراض ارتفاع ضغط الدم والسكري والتخلف العقلي... والكثير من العيوب الخلقية و الخلقية ². ومن هنا فلقد كان للمسلمين دور كبير في تحسين النسل وذلك بانتقاء أفضل الصفات الوراثية خاصة الأخلاقية ، وما ينجم عنها من النواحي الاجتماعية والنفسية وهذا ما يوضحه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ترويه عائشة رضي الله عنها " تخيروا لنطفكم و أنكحوا الأكفاء و أنكحوا السليم".

نها عبد العزيز محمود يوسف ، جدلية الحياة و الموت دراسة نقدية بمفهوم موت الرحيم و الانتحار ، المرجع السابق ، ص129.

سالمي قدور - موسى فتاحين ، تحسين النسل من الحرية الانتقائية إلى حرية الإيتقيا ، المرجع السابق ، ص179.

المبحث الثالث

من البيوتاتيقا إلى البيوقانون

المبحث الثالث: البعد القانوني للممارسات بيوطبية

مدخل :

لقد أحدث التطور العلمي في مجال الطب وعلم البيولوجيا في عصرنا هذا ضجة علمية كبيرة في شتي المجالات ومنها المجال القانوني ،حيث أن أهم وأحدث هذه التقنيات تتعلق بجسم الإنسان ، واصطدام هذه التقنيات بمدى إمكانية ومشروعية المساس بجسم الإنسان والتصرف الوارد فيه والعلاقات التي تنشأ من جراء تلك التقنيات الحديثة ، ومدى مشروعيتها ، خصوصا إزاء النجاح والتطور الفائق اتجاه تقنية التلقيح الصناعي ، وعمليات نقل وغرس الأعضاء والعلاج الجيني وتقنية الاستنساخ.

لذا كان على الباحثين تناول هذه التقنيات الحديثة بالبحث والتحليل لما توصل إليه العلم في هذه التقنيات وعرض هذه الإجراءات والنتائج على الموقف الشرعي والقانوني للعمل على وضع إطار وضوابط يمكن للبشر من خلالها استفادة من إيجابيات هذا التقدم العلمي والبعد عن سلبياته وتبيان العلاقات الناشئة من هذه التقنيات في كافة مراحلها وضوابطها والآثار المترتبة عنها . ولما كان القانون هو مرآة لحضارة الشعوب فإن من المسلم به أنه يتضمن القيم والمفاهيم التي يحترمها الجميع ويشهد على تطبيقها لتنظيم شؤون حياتهم . لذا نتناول في هذا البحث موقف القانون من بعض أبرز هذه الظواهر العلمية الحديثة وعلي رأسها الاستنساخ البشري والموت الرحيم وتحسين النسل .

1- الاستنساخ :

بعد ولادة النعجة " دولي " جويلية 1996، ثم تلتها بعض الاكتشافات كالنعجة التي ولدت عام 1997م ،عام بعد هذه القفزة النوعية في ميدان البيولوجيا الجزيئية والاستنساخ توصل العلماء إلى استنساخ اثنين وعشرين فردا من الفئران من خلايا بالغة (Cellules adultes) يعني متخصصة ، أما في شهر نوفمبر من العام نفسه 1998م فقد تم إذاعة خبر استنساخ بقرة تحمل جين بشري لتبقي صحة هذا الخبر غير مؤكدة¹.

هذا وقد فتحت هذه المعطيات بابا واسعا أمام كل الاحتمالات فوضا عن أن تكون البيولوجيا عاملا من عوامل إسعاد البشر ،أصبحت هي المشكل عندما بدأت تنذر بقدوم عالم جديد خطير . والواقع أن رأي العديد من أساطين العلماء في العالم أجمعوا على أن الساعة تدق مقتربة بنا من لحظة الانفجار الذي يمكن أن نسميه هيروشيما بيولوجية هذا ما جند العديد من العلماء والقانونيين للإسراع في إعداد منظومة قانونية تتماشى مع هذا التطور السريع في هذا الموضوع وقد انعقدت عدة مؤتمرات بخصوص هذا الموضوع من أجل إيجاد حلول سريعة أو وضع بنود تضبط هذه العملية والتي تجلت في ما يلي :

كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للإستنساخ ، المرجع السابق ، ص82.

انعقد المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) إعلان في 11 نوفمبر 1997 اسماه الإعلان العالمي حول المجين البشري وحقوق الإنسان . ويقع هذا الإعلان في 25 مادة بالإضافة إلى مقدمة حيث جاء فيها: " إن البحوث في مجال المجين البشري والتطبيقات الناجمة عنها تفتح آفاقا عظيمة لتحسين صحة الأفراد والبشرية جمعاء ... على أنها ينبغي في الوقت ذاته أن تحترم كلية كرامة الإنسان وحرية وحقوقه " ¹ .

ونعني بذلك أن البحوث في المجين البشري مهمة لأنها تساعد في تحسين صحة الإنسان من خلال الأمراض الوراثية وكيفية علاجها أو الوقاية منها ، ولكن بشرط أنه يجب أن تتم هذه البحوث باحترام كامل لكرامة الإنسان فلا يمكن استخدام أبحاث المجين لقيام بتجارب تضر بحقوق الإنسان وحرية. تنص المادة 11 من الإعلان العالمي بشأن المجين البشري وحقوق الإنسان على أنه " لا يجوز السماح بممارسات تتنافى مع كرامة الإنسان مثل الإستتساخ (الاستنساخ) لأغراض إنتاج نسخ بشرية ويتعين على الدول والمنظمات الدولية المختصة أن تتعاون للكشف عن مثل هذه الممارسات واتخاذ التدابير اللازمة بشأنها على المستوى الوطني أو الدولي وفقا للمبادئ المنصوص عليها في هذا الإعلان " ² . ويتبين من هذا الإعلان أن الاستنساخ البشري يشكل اعتداء على حقوق الإنسان وهو المساس بالكرامة الإنسانية لذلك نص الإعلان على عدم جوازه وحضره .

وقد كانت لمنظمة الصحة العالمية في جنيف بتاريخ 11 مارس 1997م قرار أدانت فيه محاولة السعي للاستنساخ البشري وجاء فيه ما يلي : " إن منظمة الصحة العالمية تعتبر استخدام الاستنساخ لإنتاج نسخ لأفراد من البشر عملا غير مقبول أخلاقيا ، كما أن فيه انتهاكا لبعض المبادئ الأساسية التي تحكم الإنجاب عن طريق العون الطبي ، ويدخل في هذا احترام كرامة الإنسان وحماية أمن المادة الوراثية الإنسانية ... " ³ . ونفهم من هذا أن المنظمة العالمية تؤكد على أن استخدام تقنية الاستنساخ بهدف إنتاج كائنات بشرية أمر غير مقبول على الصعيد الأخلاقي ويخالف مبدأ حرمة الشخص الإنساني .

فواز صالح ، الاستنساخ البشري من وجهة نظر قانونية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية ، مجلد 20 ، العدد 1 ، 2004 ، ¹ ص 83.

المرجع نفسه ، ص 84. ²

عيسى بلفاضل حكم نسب طفل المستنسخ في الشريعة و القانون ، مجلة الفكر القانوني و السياسي ، مجلد 6 ، العدد 1 ، جامعة غرداية ، ³ 2022 ، ص 259.

وعلى الصعيد الأوروبي ، اعتمدت لجنة الوزراء في المجموعة الأوروبية الإتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان وكرامة الكائن البشري بمواجهة تطبيقات علم الأحياء والطب في 19 نوفمبر 1996م و تنص المادة الأولى من هذه الاتفاقية على "أن تحمي الأطراف المتعاقدة الكائن البشري في كرامته وفي هويته ، وتضمن لكل شخص ، دون تمييز احترام كيانه وسلامته وحقوقه وحياته الجوهرية الأخرى لمواجهة تطبيقات علم الأحياء والطب"¹. ونعني بذلك أن التقدم الذي وصل إليه العلم في علم الأحياء يجب ألا يؤدي إلى انتهاك كرامة الإنسان أو المساس بهويته أو حقوقه الأساسية فلا يجب معاملة الإنسان وكأنه شئ أو أداة لتحقيق أغراض أخرى كالمجارة غير الشرعية بالأعضاء أو استخدام أشخاص في تجارب طبية خطيرة بدون علمهم أو موافقتهم بل يجب احترامه ككائن حر و عاقل ، وعدم المساس بهويته فلا يجب تغيير أو طمس الخصائص الأساسية التي تحدد الشخص كفرد متميز سواء بيولوجيا أو نفسيا أو ثقافيا كالتلاعب الجيني بجينات الأجنة لاختبار صفات مرغوبة مثل (لون العينين أو الطول أو الذكاء) مما يؤدي إلي فقدان الفرد لهويته الطبيعية أو تحكم في سلوك الأفراد دون إرادتهم عن طريق زرع رقائق إلكترونية في أدمغة الناس مثلا أو انتهاك حقوق الأساسية للإنسان .

كما لم تقف هذه اللجنة عند هذا الحد في حرصها على وضع قوانين صارمة بل ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما تبنت بروتوكولا إضافيا للاتفاقية المذكورة آنفا في باريس عام 1997م يهدف إلى حظر استنساخ الكائنات البشرية ، في هذا الإطار حضرت الفقرة الثانية من المادة الأولى للبروتوكول استحداث كائن بشري يطابق وراثيا كائنا آخر حيا أو ميتا وقد حضرت هيئات أخرى الاستنساخ كما أشرنا ، كالبرلمان الأوروبي "حيث يمنع استخدام أي مصدر مالي تابع للمجموعة الأوروبية- بشكل مباشر أو غير مباشر- لصالح برامج بحوث يتعلق بالاستنساخ البشري"². كما أصدر البرلمان الأوروبي قراره رقم: 167- 1999 الذي نص على برنامج خاص للبحوث العلمية وقد منع هذا القرار "دعم أية أنشطة بحثية في نطاق الإستنساخ الذي يهدف إلي استبدال خلية جينية بنواة خلية مأخوذة من شخص ما أو من جنين" .

فواز صالح ، الاستنساخ البشري من وجهة نظر قانونية ، المرجع السابق ، ص 83.¹

عيسى بلفاضل ، حكم نسب الطفل المستنسخ في الشريعة و القانون ، المرجع السابق ، ص 259.²

واعتمد الإتحاد الأوروبي في: 30 سبتمبر 2002 البرنامج الإطار السادس المتعلق بالبحث و التطور الأوروبي في بروكسل لأجل الفترة الممتدة مابين 2003-2006 و قدتم تعليق تمويل البحوث على خلايا المنشأ البشري وكذلك الإستتساخ¹. وبتاريخ 8 مارس 2005 صدر قرار عن الجمعية العامة للأمم المتحدة تحت رقم 59/280 وذلك بموافقة 44 دولة وعارضت 34 دولة وامتناع 37 دولة عن التصويت وغياب 36 دولة عن الجلسة ، والذي جاء في مضمونه " أن يكون الهدف الأساسي من التطور الذي تشهده العلوم البيولوجية هو التحقق من معاناة الإنسان وتحسين حالته الصحية " كما أكد ضرورة الحفاظ على الكرامة البشرية وصون الحريات الأساسية للإنسان كما جاء ما يلي :

(أ) دعوة الدول الأعضاء إلى اتخاذ جميع التدابير اللازمة لحماية الحياة البشر بشكل ملائم في تطبيق علوم الحياة .

(ب) دعوة الدول الأعضاء إلى حظر جميع أشكال الإستتساخ البشري بقدر ما يتنافي مع الكرامة البشرية وحماية الحياة الإنسانية .

(ج) دعوة الدول الأعضاء إلى اتخاذ لحظر تطبيق تقنيات الهندسة الوراثية التي قد تتنافي مع الكرامة الإنسانية .

(ت) دعوة الدول الأعضاء أيضا إلى أن تقوم دون إبطاء باعتماد وتطبيق تشريعات وطنية تدخل الفقرات من " أ " إلى " ت " حيز النفاذ².

أما في العالم الإسلامي ، فقد عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ندوة في الدار البيضاء في المملكة المغربية خلال الفترة من 14-17 أبريل 1997م لدراسة مسألة الإستتساخ إلي توصيات أهمها:

(أ) تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رجما أو بويضة أو حيوانا منويا أو خلية جسدية للإنسان العادي .

(ب) مناشدة الحكومات لوضع التشريعات اللازمة لغلق الأبواب المباشرة، وغير المباشرة أمام الجهات الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبرات الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميدانا لتجارب الإستتساخ والترويج لها³.

فواز صالح ، الاستتساخ البشري من وجهة نظر قانونية ، المرجع السابق، ص84¹.

عيسى بلفاضل ، حكم نسب الطفل المستنسخ في الشريعة و القانون ، المرجع السابق، ص259².

كمال خابر ، الإشكالية الأخلاقية للإستتساخ ، المرجع السابق ، ص85³.

(2) موقف التشريعات من الموت الرحيم

معظم التشريعات والقوانين تعتبر الموت الرحيم جريمة يعاقب عليها بعقوبات مختلفة ، غير أن هناك بعض الدول الأوروبية أصدرت قوانين تسمح بالموت الرحيم، ولا تعاقب مرتكبيها ،وهو ما جعل بعض الدول تفكر في إصدار قوانين متشابهة تسمح بإنهاء حالات المرضى الميؤوس من شفائهم. من بين الدول التي أصدرت قوانين تسمح بالموت الرحيم نجد في الطليعة هولندا و بلجيكا وسويسرا وولاية واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية .

(أ) قانون الموت الرحيم الهولندي

تعتبر هولندا أول دولة أجازت القتل بدافع الشفقة إذ تضمن ، قانون العقوبات الصادر في عام 1981م نصا يتعلق بالقتل الرحيم بناء علي طلب واشترط القانون الهولندي أن يكون الطلب بالقتل صريحا جدا ، ثم صدر القانون المتعلق بإتمام مراسيم الجنازة الصادر في 2ديسمبر 1993م والمتضمن تقنين الإجراءات المتعلقة بالقتل بدافع الشفقة ،حيث أجازت المادة 10 منه فكرة القتل بدافع الشفقة ، إذ وفقا لهذا النص يتعين على الطبيب المختص أن يقوم بتدوين تقرير مفصل يرسل للنائب العام إذا تعلق الأمر بإنهاء الحياة بسبب تدخل طبي أي الموت بدافع الشفقة ، إذ يتعين أن يبين في هذا التقرير أن الموت كان نتيجة لحالة من الحالات الثلاثة التالية:

الحالة الأولى: قتل بدافع الشفقة بناء على طلب المريض .

الحالة الثانية: قتل بدافع الشفقة دون طلب المريض .

الحالة الثالثة: أن الموت راجع لتدخل طبي بالمساعدة على الانتحار .

وهذه الحالات كانت اختيارية بالنسبة للطبيب الشرعي قبل عام 1993م ولكنها أصبحت إجبارية بمقتضى هذا القانون وأصبحت جزء مدرج ضمنه ¹.

راجع لالو ، القتل بدافع الشفقة بين التحريم و الاباحة ، المرجع السابق ، ص853.¹

ب) قانون ولاية أوريغون الأمريكية

يعتبر من أهم القوانين التي صدرت ولاقت استحسانا بأغلبية الناخبين الأمريكيين هو قانون " أوريغون " حيث عرف هذا القانون بما يسمى ب " قانون الموت بطريقة مشرفة أو كريمة " حيث بموجبه يسمح للمرضي مرض الموت أن يحصلوا علي وصفة طبية لإنهاء حياتهم ، إلا أن هذا القانون وضع ضوابط محددة ودقيقة لتنفيذه حيث اشترط أن يتم ذلك ضمن إجراءات طبية آمنة ، وأن يعرب المريض خطيا عن رغبته هذه بحضور شاهدين و أن يتم إخبار أهل المريض برغبته هذه و أن تفصل فترة مدة الانتظار 15 يوما بين تعبيره عن رغبته هذه و أخذه للوصفة الطبية¹.

أما في فرنسا فقد أثارت قضية انتحار ربة بيت " شانتال سيبير " في عام 2008 بعد أن قدمت طلبا للقضاء بقتلها قتلا رحيمًا بسبب إصابتها بورم سرطان شوه وجهها ، وقد رفض الطلب ، فأنقسم الرأي العام الفرنسي بين مؤيد ومعارض وقد علقت وزيرة العدل الفرنسية رشيدة داتي بالقول : " تريد هذه السيدة من العدالة أن ترفع المسؤولية الجزائية عن طبيبيها ، لكننا أساسنا تشريعاتنا على مبدأ الحق في الحياة ، وهو مبدأ ذاته الذي يحكم اتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان "².

بينما نجد أن ذات القضاء الفرنسي وفي قضايا أخرى بالحكم ببراءة المتهم من ساعد على استعمال القتل الرحيم بدافع الشفقة أو الموت الرحيم وهذا ما حدث عام 1966م عندما ترأس المحكمة السيدة قتلت ابنها بمادة بسبب إصابته بفقدان التوازن والصم والبكم والعمى ، ولكن في عام 2005م أجري تعديل عن هذا القانون الفرنسي بجعله أكثر تسامحا في مواجهة المرضى الذين يطلبون الموت بحجة اليأس من الشفاء ، وعدم القدرة على تحمل الألام ، فيمكن للطبيب المعالج إيقاف التغذية الصناعية مثلا دون إعطائه حقنة مميتة وهذا ما يسمى بالموت الرحيم غير المباشر .

أما بخصوص المشرع الإنجليزي فقد أجاز القتل بدافع الشفقة ولكن بقيود منها أن يكون المريض لا يرجى منه الشفاء ، وأن يكون المريض بالغا من الرشد وأن الطبيب مؤهلا علميا ومسجلا بنقابة الأطباء . كما يلتزم المريض بتقديم تصريح كتابي على إنهاء حياته ، بحيث يصبح هذا التصريح نافذا بعد مرور ثلاثين يوما من صدوره ويبقى نافذا إلى أن يبدي المريض رغبة في الرجوع عنه ، وكذلك أشارت إليه المادة 37 من قانون عقوبات الأروغوي الصادر عام 1933م³.

علي بوسكرة ، قتل الرحيم بين إقرار القانون و تحريم الشريعة الإسلامية ، المرجع السابق ص 95¹

عتيقة بلجيل ، قتل الرحيم بين الاباحة و التحريم ، المرجع السابق ، ص 265²

رايح لالو ، القتل بدافع الشفقة بين التحريم و الاباحة ، المرجع السابق ، ص 852³

أما بلجيكا فقد وضعت اعتبارا جديدا يتمثل في السن القانوني هذا وقد سبق القضاء البلجيكي التشريع في إقراره لاستعمال الموت الرحيم ففي عام 1961م عرضت علي القضاء البلجيكي حالة تتلخص وقائعها في أم رزقت بطفلة مصابة بتشوه فظيع عند ولادتها نتيجة مما كانت تتعاطاه الأم من أدوية مهدئة لأعصاب أثناء الحمل ، فقام الطبيب البلجيكي بناء على توسلات الأم وإلحاحها ، لقتل الطفلة بالسهم ، وصدر الحكم ببراءة الطبيب استنادا إلى قرار المحلفين الذي جاء بالإجماع أنه غير مذنب رغم أن الأسباب التي بني عليه هذا الحكم لم تكن تتماشى مع أحكام القانون البلجيكي آنذاك¹. والقانون البريطاني كذلك يبيح قتل المريض بدافع الشفقة بشروط معينة ، أن يكون الطبيب مؤهلا علميا ومسجلا بنقابة الأطباء وأن يكون المرض المستعصي لا أمل في الشفاء ويسبب ألما للمريض و أن يكون المريض بالغاً سن الرشد .

أن يقدم المريض تصريحاً كتابياً للطبيب بالموافقة على إنهاء حياته ويكون التصريح نافذا لمدة 30 يوم من إعلان للطبيب أي أن يدعي المريض الرجوع عنه . وقد ذكرت صحيفة اونرفر البريطانية " أن الأطباء البريطانيين يساعدون سنويا ما يناهز العشرين ألف من المرضى المصابين بأمراض ميؤوس من شفائها لتخليصهم من رحلة المعاناة الطويلة مع هذه الأمراض².

أما التشريعات الحديثة للدول العربية تعتبر أن الموت الرحيم هو جريمة كما وقعت ويعاقب عليها بعقوبة القتل العمدى وذلك لتوافر أركان الجريمة من إزهاق روح إنسان حي ، وقصد جنائي معلوم يتضمن الإعتداء على نفس بشرية .

ومعظم القوانين الجنائية للبلدان العربية اعتبرت قتل عمدي تتوفر فيه جميع الأركان الكاملة التي على أساسها تثار مسؤولية الطبيب الجنائية ومن الأمثلة على ذلك :

المشرع العراقي الذي يدرج الموت الرحيم ضمن سياق المادة (405) من قانون العقوبات العراقي رقم 111 لسنة 1969م التي " تعاقب كل من قتل شخصا آخر بهذا بالسجن المؤبد أو المؤقت حسب الحالة"³.

وقد نصت المادة (538) من قانون العقوبات السوري على اعتبار القتل بعامل الإشفاق ظرفاً مخففاً للعقوبة ، وعلى هذا الأساس خفف القانون السوري عقوبة القتل بدافع الشفقة بناء على إلحاحه بالطلب ، وجعلت العقوبة الاعتقال مدة لا تتجاوز عشر سنوات ، وهذا هو الموقف اللبناني في مادته (538)

عتيقة بلجبل ، قتل الرحيم بين الإباحة و التحريم ، المرجع السابق ، ص266.¹

المرجع نفسه، ص267.²

بومدين فاطمة الزهراء ، القتل الرحيم في المنظور الطبي و القانون الوضعي ، جامعة الأنبار للعلوم القانونية و السياسية ، العدد 10 ، جامعة³ سيدي بلعباس، الجزائر ، ص207.

وكذلك نصت المادة (186) من القانون اللبناني وكذلك نص القانوني السوداني ، لمادة (249 / 45) علي عقوبة مخففة للقتل بناء علي المرضى .

ولكن اللجنة المصرية والسورية استبعدت هذا النص بعدم صحة اعتبار إذن المجني عليه مبررا للتصرف في حياته أو القضاء عليه ، وذلك احتراما للحياة الإنسانية ، وخوفا من إساءة استعمال هذا النص ، و إكتفت بتقدير القاضي بالنظر للظروف المختلفة¹.

3) البعد القانوني لتحسين النسل

اتفاقية مجلس اوروبا حول حقوق الإنسان والطب الحيوي الصادرة في 1996 و الإعلان العالمي بشأن حماية المجين البشري وحقوق الإنسان سنة 1997م منعت اتفاقية مجلس أوروبا كل الوسائل المفضية إلى تغيير خلقة النسل حيث جاء في المادة 13 منه: " لا يجوز إجراء أي تدخل يهدف إلى تعديل الخلقة البشرية إلا لأسباب وقائية أو تشخيصية أو علاجية".

وفي المادة 11 منه : " حظر أي شكل من أشكال التمييز والفرقة ضد شخص ما بسبب ميراثه الجيني " وتبعه الإعلان العالمي بشأن حماية المجين البشري وحقوق الإنسان سنة 1997م وفي المادة الثانية منه الفقرة الأولى " لكل إنسان الحق في أن تحترم كرامته وحقوقه أي كانت سماته الوراثية " ومن ثم جاء في المادة 6 من هذا الإعلان " لا يجوز أن يعرض أي شخص لأي شكل من أشكال التمييز القائم على صفاته الوراثية ، والذي يكون غرضه أو نتيجته النيل من حقوقه وحياته الأساسية والمساس بكرامته "2.

¹ لمياء محمد عبد الفتاح رسلان ، حكم قتل الرحمة في الشريعة الإسلامية ، العدد 11 ، ج 1 ، جامعة الفلاح ، إمارات العربية المتحدة ، ص707.

² زوبير عوادي ، الهندسة الوراثية البشرية بين الرؤية الشرعية و القانونية ، العدد 8 ، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية ، 2015 ، ص165.

و قد راعت تشريعات الدول التي صادقت على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م و الاتفاقية الدولية للقضاء علي التمييز العنصري سنة 1965م وإعلان اليونسكو بشأن التمييز العنصري 1978م ، يستفاد من موقف الإسباني لسنة 1988م الخاص بالاستعمالات الذمة الجينية ، و كذلك القانون السويسري الصادر في أكتوبر 1990م بشأن طب الإنجاب والقانون الفرنسي لسنة 1994م والخاص باحترام الجسم البشري إمكانية السماح لعلاج الخلايا الجنسية في حال مواجهة أمراض وراثية خطيرة وتوافر مبررات قوية لذلك شريطة الحصول على ترخيص مسبق مع تحديد طبيعة العمليات والطرق البيولوجية المتبعة علي أن لا تتجاوز حدود العلاج والوقاية أو دراسة الحمض النووي وحظر باقي الأشكال ، كما أوصي تقرير في بريطانيا بالحظر نهائيا على أي مساس بالخلايا الجينية ولو كان علاجيا ، وأخذ كذلك قانون الإخصاب وعلم الأجنة الصادرة في 1990م ، وأقرته لجنة أخلاقيات العلاج الجيني التابعة لوزارة الصحة البريطانية سنة 1996م¹.

أما الدول العربية والإسلامية فإن " مجال هذه التقنيات محدود والحديث عن تنظيمها وتشريع القوانين الخاصة بها غير وارد الآن لبعدها عن هذه التكنولوجيات "². وذلك لأن هذه الدول كانت البحوث العلمية منصبة فيها على الميدان الفلاحي في تنقية السلالات الجيدة من النبات و الحيوان وتهجينها ، و البحوث الوراثية في هذا المجال في بعض البلدان العربية تختص بالأمراض الوراثية و كفاءات الوقاية منها .

زوبير عوادي ، الهندسة الوراثية البشرية بين الرؤية الشرعية و القانونية ، المرجع السابق ، ص166.¹

لمرجع نفسه ، ص167.²

الخاتمة

الخاتمة:

إن التطور المذهل الذي أحدثه الإنسان في مجال علوم البيولوجية والبحوث الطبية قد حمل في طياته الكثير من التحولات والتغيرات على جميع الأصعدة وقد تمخضت على هذه التطورات تساؤلات حول القيمة الأخلاقية للتقنيات الطبية الجديدة التي أصبحت في كثير من الأحيان تهدد بشكل مباشر أو غير مباشر على الكيان الإنساني وكل ما يحيط به، نظرا لما يحمله من تعدي و إنتهاك لكرامة الإنسان وقداسته حياته، والمساس بهويته ونتيجة لهذا حاول الإنسان أن يقوم بإرساء المثل الأخلاقية صحيحة تساعد على تحقيق وراحته وطمأنينته، وذلك من خلال التوفيق بين مساعيه الدينية والأخلاقية من جهة، وبين الإنجازات التي توصلت إليها التطورات البيو تكنولوجيا من ناحية أخرى، مما أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة ، كالبيوتقيا التي أصبحت مرجعية لمواجهة هذه التطورات العلمية الجديدة في عدد من المجالات لا لمعارضتها بل لترسم لها الخطوط التي يجب عدم تجاوزها لما يشكل ذلك التجاوز من أخطار على البشرية ، هذا ما تطرقت إليه من خلال بحثي بدءا من تقنية الإستنساخ التي كانت مقتصرة في البداية على عمل البستنة فقط ، ثم انتقلت شيئا فشيئا من النبات إلى الحيوان فاستنسخت لنا النعجة دوللي 05 يوليو سنة 1996م بمعهد روزلي بالقرب من إدنبرة ، إسكتلندا .

وصولا إلى الكائن البشري متمثل في ولادة الطفلة " إيف حواء " سنة 2002/12/26م خارج الولايات المتحدة

فتمكن العلماء من إستنساخ خلايا وأنسجة تكون بديلة عن الأصلية التي أصابتها علة ما، بالإضافة إلى علاج الأمراض الوراثية، وتعديل الجينات المصابة ، ناهيك عن إنتاج أعضاء الإنسان لاستخدامها كقطع بديلة لأعضاء بشرية طبيعية ، انتقالا إلى تقنية تحسين النسل التي طالما راودت الإنسان وساوره حلم التفوق والتميز والسعي إلى اكتساب أحسن الخصائص البيولوجية ، وفي هذا الصدد يقول هانس بوناس " لقد إنقلبت العلاقة الموجودة بين الإنسان والتقنية فلم يعد الإنسان هو الذي يستخدم تقنية معينة بل أصبحت التقنية هي التي تنتج الإنسان"، يقصد بذلك أنه في ظل التطورات الحاصلة لم يعد الإنسان يولد طبيعيا كما عهدناه سابقا بل صار مع هذا التطور ينتج أو يعدل عبر تدخلات تقنية هذه الأخيرة التي تتدخل في تكوين الإنسان جسديا ونفسيا، بل وتتحكم حتى في تصميمه وتحديد ملامحه، بالإضافة إلى الموت الرحيم فبعدما كان الشخص المريض يعتبر عبئا ثقيلا على أسرته أو قبيلته أو المصاب بالأمراض المعدية يدفن حيا للوقاية من إنتشار العدوى فقد أصبح مع هذا التطور ا لتكنولوجي يغادر هذه الحياة بعد طلب وإلحاح منه بهدوء وسلام ودون ألم أو معاناة

، بإستخدام أدوية ذات أثر ناجح.

وكل هذه التطورات التي وصلنا إليها اليوم من خلال التطبيقات العلمية الحيوية واجهت إنحرافا عن مسارها الأخلاقي و خاصة أنها أشد فتكا من القنبلة الحيوية وصناعة الأسلحة كونها تمس الحرية والهوية والكرامة وحقوق الإنسان فإستلزم الأمر ضبطها بقيود ضبطا علميا و أخلاقيا ودينيا وقانونيا وهذا ما تناولته في بحثي فتطرقت إلى الجانب الأخلاقي و الرؤية الدينية و النظرة القانونية لهذه الأبحاث العلمية المذكورة سابقا.

ومع ذلك يبقى التخوف قائما أمام التشريعات القانونية ، كونه مباح في بلد ما ، ومحرم في آخر ، فلا غرابة أن ينتقل شخص من ألمانيا التي تمنع الموت الرحيم إلى بلجيكا أو هولندا التي تبيح ذلك، وكذا الأمر في عملية تحسين النسل ، فالأشخاص الذين يعانون العقم ويبحثون عن تحقيق الإنجاب، يغيرون إقاماتهم بحثا عن تأجير الأرحام وتحقيق أمانهم ، بدليل انتقال أروبيات إلى الهند لتحقيق رغباتهم المتمثلة في تحقيق الإنجاب.

وكل ما يمكن القول أن ما وصل إليه التقدم الهائل بخصوص الممارسات الطبية ، تبقى الأفاق مفتوحة أمام الفكر الفلسفي لحل الأزمات الأخلاقية التي تواجه الطب المعاصر، لتقدم مزيدا من المراقبة والتوجيه داخل خطاب البيوأثقي ، يحرص دائما على مراعاة واحترام كرامة الإنسان، ولهذا يبقى الحديث عن التطور البيوتكنولوجي يتتبع دائما الوقوف على الجانب الأخلاقي .

، أمالين في المستقبل أن يسير جنبا إلى جنب حتى تتجنب البشرية من تماذي بعض العلماء و الأطباء من تطبيق أفكارهم التي تحمل المجازفة في معاملهم التجريبية غير مبالين بالقيم الإنسانية و الأخلاقية .

فهارس البحث

فهرس مصطلحات البحث

فهرس أعلام البحث

البيليوغرافيا

فهرس المحتويات

ثبت المصطلحات

باللغة العربية	باللغة الفرنسية
أ.د.ن	D.N.A
إتيقا	Éthique
إجراء التجارب علي البشر	Exqèrimentation sur
أخلاق	Morale
أخلاق التطبيقية	Éthique appliquée
أخلاقيات المهنة	Déontologie
إستنساخ	Clonage
إستنساخ تكاثري	Clonage reproductif
أكسيولوجيا	Axiologie
ام بديلة	Mère porteuse
إنشطار جيني	Fission génétique
الالم	Douleur
الالتزام	Engagement
برغماتية	Pragmatisme
بيوتكنولوجيا	Biotechnologie
بيواتيكا	Bioéthique
البويضة	Ovules
تحسين النسل	Eugénisme
تركيبية جينية	Structure génétique
تشخيص ما قبل الولادة	Diagnostic prénatal

Anatomie	تشريح
Diagnostic prénatale	التشخيص المبكر
Modification génétique	تعديل جيني
Reproduction asexuée	تكاثر لا جنسي
Insémination artificielle	تلقيح الاصطناعي
Embryon	الجنين
Génome humain	الجينوم البشري
Génome humain	حقوق الانسان
Cellule	خلية
Religion	الدين
Cytoplasme	سيتوبلازم
Médecine	الطب
Science	العلم
Soin	العناية
Loi	القانون
Valeurs	القيم
Dignité	الكرامة
Chromosomes	كروموسومات
Comités d' éthiques	لجان الأخلاقيات

L 'Organisation Mondiale de la Santé	المنظمة العالمية للصحة
Préimplantatoire	ما قبل الزرع
Observation clinique	مشروع الجينوم
Euthanasie	موت رحيم
Consentement	الموافقة
Eugénisme négatif	نسالة السلبية
Eugénisme positif	نسالة إيجابية
Eugénisme lébiral	نسالة ليبرالية
Identité	الهوية
Positivisme légale	وضعية قانونية
Prévention	وقاية
L' Eugénique	يوجينا

فهرس أعلام البحث

ص-16-47	Hippocrate	أبقراط
ص-15-16	Aristote	أرسطو
ص-46-47-55	Platon	أفلاطون
ص-56	Charles Datwin	تشارلز داروين
ص-17-18-19	John Jacques Rousseau	جون جاك روسو
ص-17-18	John Locke	جون لوك
ص-56-57	Francis Galton	فرانسيس غالتون
ص-22-23	Jean Paul Sartre	جان بول سارتر
ص-19-20-21-22-62	Emmanuel Kant	إيمانويل كانط
ص-57-63	Hans Jonas	هانس جوناكس
ص-49	Friedrich Wilhelm Nietzsche	فريدريك نيتشه
ص-57-64-65-66	Jürgen Habermas	يورغن هابرماس

المبطلو خرافيا

قائمة المصادر

و المراجع

أولاً: المصادر و المراجع

1. ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق، دار مكتبة الحياة و الطباعة و النشر، ط 2 ، بيروت.
2. احمد بن عبد الله بن حسن المباركى ، طرق تحسين النسل البشري دراسة فقهية ،دار كنوز اشبيليا لنشر و توزيع ، ج 1 ، ط 1 ، 2018.
3. أفلاطون ، القوانين ، تر: تيلور، نقله إلي العربية ، محمد حسن ظظ ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،(د-ط) ، 1986.
4. احمد امين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط 2 ، القاهرة ، 1935.
5. أرسطو طاليس ، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ، ج 2 ، نقله أحمد لطفي السيد ، مطبع دار الكتب المصرية ،(د-ط) ، القاهرة ، 1924 .
6. امانويل كانط ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاقي ، تر : عبد الغفار مكاي ، منشورات الجمل ، ط 1 ، 2002.
7. نورة بوحناش، الأخلاق و الرهانات الإنسانية ، إفريقيا الشرق ،(د-ط) ، المغرب ، 2013.
8. جان بول سارتر ، الوجودية مذهب إنساني ، تر : عبد المنعم حنفي ، مطبعة الدار المصرية ، ط 1 ، القاهرة 1964 .
9. جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي ، تر : عادل عمر زعتر ، دار الهدى للطباعة و النشر و توزيع ، (د - ط) ، الجزائر ، 2015 .
10. جون لوك ، في الحكم المدني ، تر : ماجد الفخري ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع ، بيروت ، 1919 .
11. جعفر حسن عتريسي ، الاستنساخ جدل العصر ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ، بيروت لبنان ، 2002.
12. جون لوك ، الحكومة المدنية وصلتها نظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو ، تر : محمود شوقي الكيال ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، (ب ط ت) ، مصر .
13. حينا سميث ، عصر علوم ما بعد العلوم ، تر: مصطفى إبراهيم فهمي ، الهيئة العامة لدار الكتب و الوثائق القومية ، 2009.
14. بلكيف سميث، الفلسفة الأخلاقية"من سؤال المعني إلى مأزق الإجراء"، منشورات الاختلاف ط1، دار الأمان الرباط، 2013 .
15. عبد الله الشرقاوي ، الفكر الأخلاقي و دراسة المقارنة ، دار الجيل ، ط 1 ، بيروت ، 1990.

16. عبد الله زعور ، أخلاقيات العلم ، دار معاف الحكمة لبنان ، 2015 .
 17. عبد الحليم محمد منصور ، الاستنساخ البشري بين الطموحات العلمية و الحقائق الشرعية دراسة فقهية مقارنة ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1، الإسكندرية ، 2012 .
 18. فتيحة تفاحي ، الأخلاق التطبيقية - من الإيتيقا إلى البيواتيقا - مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، ط1 ، جامعة سعيدة ، الجزائر 2016 .
 19. محمد الستار نصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، دار القلم ، ط1 ، الكويت ، 1982.
 20. محمد عابد الجبري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط2 ، 2003.
 21. منصور علي رجب ، تأملات في فلسفة الأخلاق ، مطبعة مخيمرة ، ط1 ، القاهرة ، 1953 .
 22. محمد صرحان علي المحمودي ، مناهج البحث العلمي ، دار الكتب ، الطبعة 3 ، الجمهورية اليمنية صنعاء ، 2015.
 23. مكرم ضياح شكره ، علم الوراثة ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، ط5 ، عمان الأردن.
 24. عمر بوفتاس ، البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، ج1 ، إفريقيا الشرق ، المغرب. 2011
 25. كمال محمد السعيد عبد القوي عون ، الضوابط القانونية للاستنساخ دراسة مقارنة ، دار الجامعة الجديدة للنشر ، الإسكندرية ، 2013.
 26. هنري انتلان ، الاستنساخ البشري ، تر نها قابيل ، ط1 ، القاهرة ، 2012 .
- ثانيا: المعاجم و الموسوعات**
1. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ج1 ، بيروت ، 1978.
 2. أندريه لالا ند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، منشورات عويدات ، ط2 ، بيروت ، 2001 .
 3. خالد بن جمعة بن عثمان الخراز ، موسوعة الأخلاق ، مكتبة أهل الأثر للنشر و التوزيع ، ط1 ، الكويت ، 2009.
- ثانيا: المجالات**
1. إحسان علي عبد الأمير الحيدري ، البيواتقا بين الدن و الفلسفة ، مجلة الاداب ، العدد 33 ، جامعة بغداد، 2020.
 2. احمد شرف الدين ، الأحكام الشرعية للأعمال الطبية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، ط1 ، الكويت .
 3. بنين حامد جبار ، مفهوم الاخلاق التطبيقية ، مجلة متون ، ج د ، مولاي الطاهر سعيدة ، المجلد 16 ، العدد 1 ، 2023 .

4. بومدين فاطمة الزهراء . القتل الرحيم في المنظور الطبي و القانون الوضعي ،مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية و السياسية ، العدد 10 ، جامعة سيدي بلعباس الجزائر .
5. خديجة مانع ، الموت الرحيم مجاملة علمية لتبرير الانتحار أم حق الموت بكرامة ، سلسلة الأنوار ، المجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة مستغانم الجزائر ، 2021 .
6. رجاء وحيد دويدي ،البحث العلمي أساسياته النظرية و ممارسة العملية ، المطبعة العلمية، دمشق .
7. رابح لاللو ، القتل الرحيم بدافع الشفقة بين التجريم و الإباحة ، مجلة صوت القانون ، مجلد 8 ، العدد 2 ، كلية الحقوق و العلوم السياسية بجامعة البليدة 2 الجزائر ، 2022 .
8. سالمى قدور ، تحسين النسل من الحرية الانتقائية إلى الحرية الإتيقيا ، مجلة الفكر العدد 1، جامعة الجيلالي بونعامة ، مخبر التربية و الاسبمولوجية ، خميس مليانة ، 2021.
9. سفيان عمران ، بيواتيقا الموت الرحيم بين الاستقلالية وضرورة احترام القيم ، سلسلة الأنوار المجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة سطيف 2 ، 2021.
10. سمية بيدوح ، موت الرحيم : الفرد و الكرامة ، جامعة تونس ، 2020 .
11. زوبير عوادي ، الهندسة الوراثية البشرية بين الرؤية الشرعية و القانونية ، العدد 8 ، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية ، 2015.
12. سوزان عماد الدبابسة ، الاستنساخ والضوابط الأخلاقية دراسة تحليلية ، مجلة جامعة المدينة العالية ، العدد 47 ، جامعة الأردن ، 2022.
13. صابر زغلول ، فلسفة كانط بين ثغرات الإلحاد و الإيمان العملي ، مجلة الآداب و العلوم الانسانية ، العدد 76 ، 2018 .
14. شقعار لميس ، الجدل الأخلاقي لمشكلة موت الرحيم ، سلسلة الأنوار ، المجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر، 2021 .
15. عائشة أحمد حسن ، الاستنساخ و الإشكاليات الأخلاقية ، مجلة الجامعة ، العدد 15 ، المجلد 1، ليبيا.
16. عبد الحليم محمد منصور ، الاستنساخ البشري بين الطموحات العلمية و الحقائق الشرعية دراسة فقهية مقارنة ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1، الإسكندرية ، 2012 .
17. عبد الحليم منصور ، القتل الرحيم بدافع الشفقة في الفقه الإسلامي و القانون الوضعي دراسة مقارنة ، مجلة البحوث القانونية و الإقتصادية ، المجلد 2، العدد 2 ، 2012.
18. عبد العزيز أحمد محمود يوسف ، جدالية الحياة و الموت كرامة نقدية لمفهومي موت الرحيم و الانتحار ، كلية الأدب ، جامعة الإسكندرية ، العدد 49 .
19. عتيقة بلجيل ، القتل الرحيم بين الإباحة و التحريم ، مجلة الفكر ، العدد 6 ، الجزائر .

20. عدنان عباس موسى ، مسؤولية أخلاقية للمجتمع الدولي حول الاستنساخ ، مجلة علوم السياسية، العدد 43 ، بغداد.
21. علي بوسكرة ، القتل الرحيم بين إقرار القانون و تحريم الشريعة الإسلامية ، مجلة التدوين ، المجلد 15 ، العدد 1 . جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 ، الجزائر ، 2023.
22. علال أحمد ، التحسين الجيني وتداعياته على المستقبل البشري ،مجلة المحترف لعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية و الإجتماعية ، المجلد 9 ، العدد 4، 2021.
23. عيسى بلفاضل ، حكم نسب طفل المستنسخ في الشرعية و القانون، مجلة الفكر القانوني و السياسي ، مجلد 16، العدد 1 ، جامعة غرداية ، 2022.
24. فواز صالح ، الاستنساخ البشري من وجهة نظر قانونية ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية ، مجلد 20 ، العدد 1 ، 2004.
25. قرفي فضيلة ، الأبعاد الأخلاقية لموت الرحيم ، سلسلة الأنوار، مجلد 11 ، العدد 2 ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 ، الجزائر 2021.
27. كرنين عماد سامي داود ، البراغماتية فلسفة المستقبل ، مجلة كلية التربية ، العدد 27 ، ج 2 ، جامعة عين الشمس ، 2021.
28. لمياء محمد عبد الفتاح رسلان ، حكم قتل الرحمة في الشريعة الإسلامية ، العدد 11 ، ج 1 ، جامعة الفلاح ، إمارات العربية المتحدة .
29. مباركي الحاجة ، البيواتيقا وفقه النوازل (العمليات التجميلية أنموذجا) مجلة التطور ، المجلد 8 ، العدد 1 ، كلية العلوم الإجتماعية قسم الفلسفة ، 2001.
30. مساهل سعاد ، الموت الرحيم وتطبيقه في عالم الممارسات الطبية، مخبر الفكر الإسلامي في الجزائر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس ، الجزائر.
31. معاشو نصر الدين ، البيواتيقا وتحدياتها المعاصرة في ضل مجتمع المعرفة ، مجلة التميز الفكري للعلوم الإجتماعية و الإنسانية ، العدد 6، جامعة الجزائر ابو قاسم سعد الله ، 2021.
32. ولاء عبد الناصر احمد حسن ، جذور الفلسفية للموت الرحيم ، مجلة كلية الآداب ، العدد 56 ، جامعة جنوب الوادي ، 2022.
33. أخلاقيات البحث العلمي ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات بالإسكندرية ، العدد 38 ، الإصدار الثاني .
34. يسرا ابراهيم محمد صبحي ، فاعلية وحدة مقترحة في فلسفة الأخلاق التطبيقية بإستخدام إستراتيجية العصف الذهني على تنمية التفكير الأخلاقي ، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية و النفسية ، العدد 7 ، ج 2 ، 2017.

ثالثا: المذكرات :

1. بن صابر محمد ، التربية الدينية في الفلسفة البراغماتية ، جون ديوي انموذجا ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة ،كلية العلوم الإجتماعية ، جامعة وهران ، 2018.
2. تفاحي فتيحة ، إتيقا الطب المعاصر ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة ،كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، شعبة الفلسفة ، جامعة سعيدة ، 2017-2018.
3. كمال خابر ، الأشكالية الأخلاقية للإستتساخ ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر ، 2011-2012 .

رابعا: المواقع الالكترونية

1. إسماعيل غازي مرحبا ، تحسين النسل دراسة فقهية ، الموقع الالكتروني للمجلات العلمية الفقهية المحكمة، 2019 .
2. عدي حولي ، كيف تنتظر الأديان السماوية إلى قتل الرحيم www.aldiazeera.com
3. وثيقة أخلاقيات المهنة ، كلية الطب ، جامعة طنطا ، وحدة ضمان الجودة ، 2011 .

فهرس المحتويات

شكر و عرفان

إهداءات

خطة البحث

المقدمة

أ.....	
6.....	الفصل الأول: ما البيواتيقا؟
6.....	مدخل
6.....	مفهوم الأخلاق
6.....	التعريف اللغوي
6.....	الطبع
6.....	العادة
7.....	تعريف الأخلاق إصطلاحا
9.....	التعريف الإصطلاحي لعلم الأخلاق
10.....	الجانب العملي
11.....	الإيتيقا
12.....	مفهوم الأخلاق التطبيقية
12.....	الفلسفة التطبيقية
13.....	الأخلاق التطبيقية
13.....	تعريف البيواتيقا
13.....	التعريف اللغوي
13.....	التعريف الإصطلاحي
15.....	المبحث الثاني: نشأة البيواتيقا كمبحث أخلاقي جديد (تاريخية المفهوم)
15.....	مدخل
15.....	الأخلاق العملية عندى أرسطو
17.....	فلسفة الأنوار و فكرة حقوق الإنسان
17.....	فلسفة الحق عندى جون لوك (John Locke)
18.....	جون جاك روسو (John Jacques Rousseau)
19.....	فلسفة الواجب الأخلاقي عند كانط

21.....	قاعدة الغائبة.
21.....	قاعدة التعميم
22.....	تأثير الفلسفة الوجودية في نشأة البيواتيقا.
24.....	تطور الفكر البراغماتي داخل الخطاب البيواتيقي.
27.....	المبحث الثالث: مجالات البيواتيقا (أخلاقيات العيادة ،أخلاقيات البحث العلمي ،السياسة الصحية)
27.....	أخلاقيات العيادة
28.....	الإخلاص
29.....	الصدق
29.....	الصبر و الحلم.
29.....	العدل
29.....	أخلاقيات البحث العلمي
30.....	القيم الأخلاقية الحاكمة للبحث العلمي
30.....	الأمانة.
30.....	الدقة.
30.....	النزاهة
31.....	الصدق في القول
31.....	أخلاقيات السياسة الصحية
31.....	مبادئ السياسة الصحية
32.....	الصحة العمومية
32.....	منظومة العلاج
33.....	الفصل الثاني: أهم تطبيقات البيوطبية
35.....	المبحث الأول : الاستنساخ الحيوي و مسألة الهوية
35.....	مدخل
35.....	من الخلية إلى أ. د. ن (A. D. N)
35.....	تعريف الخلية
35.....	الخلية في اللغة
36.....	لمحة تاريخية حول الخلية.
37.....	تعريف الاستنساخ في اللغة
37.....	النسخ الشرعي
39.....	تعريف البيولوجي للإستنساخ.

42.....	أنواع الاستنساخ.....
42.....	الاستنساخ الجنسي توالدي.....
42.....	صور الإستنساخ.....
45.....	المبحث الثاني : الموت الرحيم.....
45.....	مدخل.....
45.....	التعريف الموت الرحم.....
45.....	التعريف اللغوي.....
45.....	اصطلاحا.....
46.....	التطور التاريخي للموت الرحيم.....
50.....	أنواع الموت الرحيم.....
50.....	النوع الأول: القتل المتعمد المباشر.....
50.....	صورته.....
50.....	الصورة الأولى الصورة الايجابية.....
50.....	الصورة الثانية الصورة السلبية.....
50.....	الصورة الثالثة.....
50.....	النوع الثاني الانتحار بالمساعدة.....
50.....	صورته.....
51.....	النوع الثالث القتل الرحيم غير المباشر.....
51.....	النوع الرابع الموت الرحيم السلبي له صورتان.....
51.....	الصورة الأولى.....
51.....	الصورة الثانية.....
51.....	أسباب موت الرحيم.....
51.....	السبب الأول.....
51.....	السبب الثاني.....
52.....	السبب الثالث.....
52.....	السبب الرابع.....
52.....	السبب الخامس.....
54.....	المبحث الثالث: تحسين النسل.....
54.....	مدخل.....
54.....	مفهوم تحسين النسل: (Eugeina).....

54.....	التعريف اللغوي لمصطلح تحسين النسل
54.....	اصطلاحا
55.....	الجزور الفكرية
58.....	الفصل الثالث: الأبعاد المختلفة للممارسات البيوطبية
60.....	المبحث الأول: نحو تأطير أخلاقي لإشكاليات بيوطبية
60.....	الاستنساخ وهوية الإنسان
60.....	الإخلال بأخلاقيات التنوع البشري
61.....	يؤدي الاستنساخ إلى تهديد الكرامة البشرية
61.....	الاستنساخ يؤدي إلى اختلاط الأنساب
62.....	يؤدي الاستنساخ إلى خطر العبودية
62.....	الاستنساخ سيؤدي إلى اختلاط الأنواع
62.....	النقاش الأخلاقي الناتج عن مشكلة الموت الرحيم
64.....	رؤية أخلاقية لتحسين النسل
68.....	المبحث الثاني البعد الديني للممارسات بيوطبية
68.....	مدخل
68.....	الاستنساخ
69.....	موقف الديانة اليهودية
70.....	الديانة المسيحية
71.....	الاستنساخ في ضوء الديانة الإسلامية
72.....	أولا الاستنساخ الإنجابي
73.....	أحكام القتل الرحيم في الديانات السماوية
73.....	الديانة اليهودية
74.....	الديانة المسيحية
74.....	الديانة الإسلامية
75.....	تحسين النسل
77.....	المبحث الثالث: من البيواتيقا إلى البيوقانون
77.....	مدخل
77.....	الاستنساخ
81.....	موقف التشريعات من الموت الرحيم
81.....	قانون الموت الرحيم الهولندي

81.....	الحالة الأولى: قتل بدافع الشفقة بناء على طلب المريض
81.....	الحالة الثانية: قتل بدافع الشفقة دون طلب المريض
81.....	الحالة الثالثة: أن الموت راجع لتدخل طبي بالمساعدة على الانتحار
82.....	قانون ولاية أوريغون الأمريكية
84.....	البعد القانوني لتحسين النسل
87.....	الخاتمة
91.....	ثبت المصطلحات
95.....	فهرس أعلام البحث
98.....	المراجع
102.....	فهرس المحتويات

